خطيئة ما قبل آدم

خيرة رميسة بن سعيدي

دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان: مدينة العبور – الحي السادس، فيلا 8، مدخل 1
هاتف: 1003288596 (0020)
بريد إلكتروني: dream.pen92@gmail.com

خطيئة ما قبل آدم

خيرة رميسة بن سعيدي
الطبعة الأولى، القاهرة 2020م
غلاف: عمار جمال العبد
مراجعة لغوية وتنسيق داخلي: لخضر بن الزهرة
رقم الإيداع: 7402 / 2020
I.S.B.N \ 978-977-6794-22-1

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًّا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذنٍ خطيٍّ من الدار.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، و لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار النشر.

خطيئة ما قبل آدم

(رواية)

خيرة رميسة بن سعيدي

مقدمة

قبل أن تطأ قدم آدم الأرض كانت هناك كائنات تشبه البشر، لكنها كانت أكثر ذكاء، وأطول عمرا، يُرمَز لهم بالطور والطوطم، والاسم ليس مهما حتى الآن.

عاشت هذه الكائنات حياةً سعيدة مليئة بالرخاء والسعادة، لكن مُذنَّبا ضرب الأرض، كان أصغرَمن أن يدمر الكوكب، لكن أشعته كانت مختلفةً عن الدم الذي يجري في عروق الطوروالطوطم، فعندما سقط المذنب أصاب قبيلةً منهم عاش منها البعض، وأصابهم الجوع والعطش، فلم يجدوا سوى دماء بني جنسهم ليبدؤوا امتصاصها حتى لا يفسدوا جثثهم، فللدفن عندهم قدسية ما بعدها قدسية، لكنهم لم يستطيعوا التحكم برغباتهم لذلك بدأوا بالتجول في الأرض وامتصاص دماء بعضهم البعض حتى كادت الأرض تنتهي من كائناتها، وبعد أن قتلوا الجميع ولم يجدوا شيئا، بدأوا بمص دماء الحيو انات فانقرضت الديناصورات بسبب ذلك.

كان قد مضت سنوات على وجودهم ليولد جيلٌ جديد مُكوَّن من ستة أفراد، وبسبب ولادة رغباتهم تلك معهم كبر الأطفال ليقتلوا والديهم وأحبتهم، لكنهم سرعان ما شعروا بالذنب، فذهبوا إلى

القطب المتجمد ورموا أنفسهم داخل مياهه المتجمدة معتقدين بأنهم سيموتون.

في سنة 1912 حدث أمر رهيب في العالم، غرقت سفينة التيتانيك، في ذلك الوقت تم إنقاذ الإخوة سايتن الستة مع الركاب الناجين معتقدين بأنهم من ركاب السفينة، فثيابهم كانت فارهة ويبدو عليهم الغنى، لذلك قام ملك انجلترا آنذاك بالتعويض لهم ومنحهم قصرًا للسكن فيه.

إن مشكلة الطور والطوطم أنهم وعلى الرغم من المكانة الكبيرة التي وصلوا إليها وتطورهم وذكائهم، فإنهم عادوا للبدائية عبر أكل بعضهم البعض، ومن خلال سفك دماء البعض، كان الإخوة سايتن أذكياء، بالإضافة لكونهم وسيمين جدًّا، أكبرهم (ساينوم) ذو ملامح باردة وعينين حمراوين بلون الدم، طويل القامة يعمل كطبيب جراح ساهم كثيرا في اكتشاف زوايا المخ، ثم هناك (تايتن) مرح ومغازل جيد، يعتمد على إغراء الفتيات وجعلهن يقدمن دمائهن له كنوع من الحب، ثم هناك (نان) توأم (تايتن)، بشعر أحمر بدل الأسود وعينين زرقاوين كلون الماء بين البحرين، هدوء يشبه العواصف قبل قيامها، كان الأشد قوة بينهم رغم أنه لا يحب استخدامها، ثم هناك (ماينوك)، بدين الجسم وطفولي، يحب الطبخ وبارع فيه بشدة، يدير كل سنة سلسلة مطاعم في منطقة من العالم ثم يتركها ليفتح أخرى من الصفر، يليه مهووس العلم والمختل الذي يحب التجارب على البشر (فايوري) الذي يخفي وسامَتَه قصرُ قامته وشكله الذي يشبه غرباء الأطوار، لكن قدرته الخاصة تتمثل بالتشكل بأي شكل

يريده، فكانت أهم شخصية برزبها هي ألبرت إينشتاين، آخر شخصية وأكثرها غموضا وكرها للبشر هي (واردو)، ومعنى اسمه هو الشر المطلق، وفعلا كانت قدراته مخيفة جدًّا، فكان حين يسأم يذهب إلى أحد الأماكن ويعيش بها مسببًا حالة من الاكتئاب المرضي غير المبرر الذي سرعان ما ينتهي بالانتحار بظروف غامضة، كان يستمتع بهذا التصرف فهو ما يحقق له الراحة، بينما يراقبهم يغادرون الحياة.

چيزا

قصتنا تبدأ بالعام التاسع عشر بعد الألفين، كان الشباب الستة يجلسون في مدينة لندن، بقصر يقع على ضفاف نهر التايمز، حيث يطل على الملعب والنهر، لم يكن أي منهم يحتاج خدما، فلديهم قدرة الاعتماد على أنفسهم.

مع اقتراب العام على نهايته والتقاء العشرينيتين كان فايوري يعمل في مختبره حين جاءهم وهم يتناولون الطعام ليقول بنظرة مليئة بالشر.

– لقد وجدتها.

رفع نان رأسه عن الكتاب الذي بين يديه ليحرك أحد حاجبيه في استغراب، بينما توقف البقية عن الأكل ليقول بشر أكثر.

– هناك طريقة لكسر اللعنة.

– هل ما زلت تصدق تلك الخر افة؟

كان ذلك صوت تايتن الذي توقف عن الحديث إلى حبيبته الـ...

حسنا توقفت عن العد، لم يثنِ ذلك عزيمة فايوري ليقفز إلى أعلى الطاولة ويقول ر افعا ورقة:

– حساباتي لا تخطئ، هناك شخص يملك مثل الدماء التي لدينا.

– توقف أرجوك.. أنت تفسد طعامي.

– اهدأ ماينوك.. بما أنني الكبير فسأشرح له الأمر.

وقف ساينوم أمامه ليلكمه فيسقط فايوري أرضا بينما يقف الثاني وكأنه لم يُصَب، يمسح وجهه وهو يقول بتحد أكبر.

– أنا متأكد.

– ألم تسأم من الأمر بعد؟ لقد أقمت حربا عالمية للبحث عن الكايو، وهل وجدناه؟! لا، مجرد دماء في كل مكان، دماء قذرة لا فائدة منها سوى إصابتنا بالدوار.

أدار تايتن رأسه للخلف وأسنده بكفيه يبتسم قائلا بمرح:

– شخصية هتلر هي الأحب لدي من شخصياتك التي تقمصتها، لقد كنت بارعًا جدا، وكنت ستحتل العالم لولا تدخل نان.

والتفت الجميع إلى نان الذي كان يقرأ كتابه وهو يضع سماعاته، بينما أسند ماينوك رأسه للطاولة وهو يتذكر الحروب التي قام بها فايوري ليضحك.

– الأمر ليس مضحكا ماينوك.. وأنت أيضا تايتن، فايوري أرجوك توقف.. بقيت لنا سبعة آلاف سنة فلنعشها بسلام، لا أريد دماء تثير الصداع.

– لكنني متأكد... وقد اخترعت هذا الحجر، سيضيئ حالما نمر على الكايو... لقد جعلت دماءنا تنبض داخله، ثقوا بي.

قالها بانكسار لينظر إليه الجميع، ثم ينسحب كل منهم ويختفي نان، غضب فايوري فرمى الحجر أرضا وعاد لمعمله.

جلس ماينوك في المطبخ يحاول تحضير أطباق جديدة، بينما اختلى تايتن بنفسه ليغادر إلى حفلته، أما ساينوم فقد ذهب للنوم.

عاد نان لغرفة الطعام لأنه نسي ورقة سقطت من كتابه، ليجد الحجر بقربها، حمله ووضعه تحت ضوء القمر ليلاحظ النجوم داخله، كان مصنوعا بدقة ليحمل في داخله خريطة أرضهم، وصور الراحلين، ابتسم ملصقا إياه براحة يده ليبقى متذكرا الجميع.

في مدينة و اتفورد القريبة من لندن تجلس فتاة بشعر أحمر قصير يصل إلى كتفيها، وعيون خضراء فاتحة حزينة، رغم البسمة التي كانت تزين ثغرها الصغير وملامحها الطفولية، وقفت عندما ناداها الطبيب لتتجه نحو غرفة التبديل وتنزع معطفها سامحة لقصر قامتها وهزلها بالظهور، انعكس وجهها على أحد النو افذ لتقول بحزن:

– متى أصبحت أشبه الأشباح هكذا؟

– ألم تستعدي بعد؟!

كان ذلك صوت آنيا، وهي ممرضة مساعدة وزميلتها، ابتسمت (چيزا) ونظرت لها، ثم غادرتا للعمل سوية في غرفة الطوارئ. كان لثغرها ابتسامة تعكس الفرح بالأرجاء رغم أن قلبها تغلفه أغطية كثيفة من الحزن والألم..

بعد ساعات من العمل وأثناء تجوالها في أروقة المشفى مر بجوارها طاقم طبي يرافق رجلا مصابا بحروق، نظرت له لتحجز ذاكرتها صورة لعجوز يحترق وأحدهم يضرم النيران به أكثر، تراجعت للخلف في خوف، ثم تقدمت بعد أن اصطدمت بطبيب شاب، التفتت واعتذرت لتحاول المغادرة ليوقفها ممسكا إياها من ذراعها قائلا:

– لماذا وجهك شاحب چيزا؟

– لا.. لا شيء ستيفن.

– هلا نظرت لوجهك في المرآة؟

قبل قول كلمة كان قد أمسك كتفيها وقابلها للمصعد لينعكس وجهها به، كانت صفراء شاحبة بدون أي لون للحياة، أطرقت وهي تنظر لانعكاسها ليديرها بهدوء ويقول بحزن كأنه يتوسلها:

– تعلمين أنني هنا لأجلك؟

رفعت رأسها بهدوء وابتسمت بشحوب لتقول بحزن وابتسامة:

– جميع من قالوا ذلك كانوا أول الراحلين.

– چيزا؟!

– لا تهتم، الأمر سخيف.. أخبرني أليس لديك عمل؟

– لا.. لقد أنهيته، لنذهب.

– حسنا.

استغرب ستيفن عدم إلحاحها بالبقاء، وأثناء خروجهما سمعت صوت أحدهم يصرخ بألم، تجاهلته وسارت نحو الخارج، لكن الصوت كان يشتد، فتوقفت لتقول:

– هناك من يتألم بشدة.

– جميعهم يتألمون چيزا، هذا مشفى.

– لكن صراخه يصم الآذان.. إنه يتألم وكأنه سيفارق الحياة.

– سأراه وأحاول إعطاءه جرعة مورفين.. ما رأيك؟

– حقًّا ستيف؟

– بالطبع عزيزتي.. هلا سبقتني للغرفة وسآتي حالا سأحضر حقنة.

– حسنا.

سارت چيزا في الرواق الطويل حتى وصلت إلى آخره حيث توجد المشرحة، وقفت باستغراب تنظر إلى بابها والصراخ قد اشتد، لتدفع ببابها وتدخل، وصلت إلى إحدى الثلاجات حيث سمعت الصراخ من داخلها وهو يضرب الحديد، سحبت الجثة لتجد وجها محروقا، فارتعبت وأشاحت بوجهها لتصطدم بصدر ستيفن ويقول هو بهدوء:

– هل هذا من كان يصرخ؟

– نـ.. نعم.. لكنني لا أفهم..

ابتسم ستيفن لها طالبا منها الهدوء ليفحص الجثة قائلا بهدوء:

– لا بد أنه كان حيًّا قبل برهة، إنه يشعر بالراحة الآن فاهدئي حبيبتي.

جاء الطبيب الشرعي ليجدهما يقفان أمامه فقال باستغراب:

– ماذا هناك؟!

– لا شيء.. لقد سمعنا صراخا من هنا فاعتقدنا أن أحدهم ارتكب خطأ.

نظر الطبيب الشرعي للجثة وقال بوجه مشمئز.

– من المؤسف أن ترى فاتنة مثلها هذا الوجه المشوه، لكنه كان عجوزا مرحا، و إنه لمن المحزن أن يغادر الحياة باكرا.

كانت چيزا غارقة في التفكير عندما قال الدكتور ماركو نايت جملته لتنظر له بدهشة قائلة:

– هل لديك صورة له؟

– تقصدين صورة لوجهه! نعم، إنها في الملف.

ما إن أخرج الملف حتى خطفته من يده لتنظر لصورة العجوز فتقف مشدوهة، نظر ستيفن إليها باستغراب ليقول:

– ماذا حدث؟

– لقد تم قتله..

– ماذا؟

كان ذلك صوت الطبيبين لتستيقظ من دهشتها وتقول بهدوء وإرهاق:

– لنغادر، ستيفن أنا مرهقة.

– توقفي يا آنسة.. ما الذي تعنينه بأنه قُتِل؟!

– لا.. لا شيء.

– أرجوك.. قولي شيئا.

– لا أعلم، لكنني رأيت هذا العجوز يُقتَل، لقد قام رجل بشامة على خده الأيمن بإضرام النار فيه في غرفة المعيشة، كان العجوز يتوسله الحياة.. لكن الثاني كان يرفع ورقة ويطلب منه توقيعها مقابل إطفاء النار، وعندما رفض.. رمى فيه قارورة ويسكي.

دُهِش الطبيبان، أمسكت رأسها بألم وغادرت ليقول ستيفن:

– لا تخبر أحدا بذلك ماركو..

– لكن؟

– أرجوك.

غادر ستيفن وبقي الطبيب ليفحص الجثة مُجدَّدًا ويشرحها، ثم يرسل تقريرًا جديدا للشرطة، فيأتي المحقق ويجلس كلاهما في مقهى، يبدأ ماركو بشرب قهوته وهو يدخن.

– ألم تتوقف عن التدخين؟!

– بلى فعلت.. لكن ما حدث جعلني أعود إليه وبقوة.

– تقريرك كان دقيقًا.. لكنني اعتقدت أن القضية أُغلِقَت، ما الذي جعلك تفحص الدم؟

– كلام الفاتنة.

– ماذا؟

– عندما اعتقدت أن ما حدث مجرد حادث، جاءت فتاة لتخبرني أنه قُتِل ولم يمت بحادث، استغربت قولها أن أحدهم أضرم النار فيه، لأعود لفحص دمه وأجد أن الضحية توقف عن الشرب بسبب تلف في الكبد، السؤال.. شخص مثله بكبد لا يحتمل حتى الشمبانيا.. كيف له أن يشرب كل تلك الكمية.

– هذا ما يدفعنا للتساؤل، من الذي أخبرنا عن الجدال معه.. و أنه تركه يفتح قارورة الويسكي؟

– تماما..

– الكذب ليس دليلا على الجريمة.. نحتاج أدلة أخرى.

– على الأقل علمنا أنها ليست حادثة، ويجب وضع ابنه تحت المراقبة إلى حين إثبات أمره.

– يبدو أنك ستعود للتحقيق ماركو؟

– هههه... لا، لقد اكتفيت، لكن هذه القضية حفزت المحقق داخلي.

– لم تخبرني! من تلك الفتاة؟

– لا أعلم.. لم أرها من قبل.

– يجب أن نستجوبها..

– لا.. سأحقق معها بطريقتي.

اتصل ماركو بعد مغادرة المقهى بستيفن يسأله عن چيزا، ليخبره أنها ممرضة بالمشفى وأنها حبيبته، كان ستيفن يشعر بأن ماركو سيفكر باستجوابها فاتصل بها يطلب منها مغادرة المكان.

بطريقة ما كانت چيزا تعرف ما سيحدث والأسئلة التي سيطرحها ماركو، انتظرت الوقت الذي يدخل به المشفى لتغادر قبله بنصف ساعة بدون أن يعرف، لكن رئيس القسم جعلها تتأخر، نظرت للساعة وحاولت المغادرة من الباب الخلفي لكنها وجدته في طريقها لتقف وهو يبتسم بمكر وهدوء.

– هل تسمحين ببعض من وقتك؟

– أنا مستعجلة..

– عشر دقائق فقط.

– لا أريد..

– أرجوك.

شحب لونها فحاولت الهدوء وضبط أعصابها، لم يبد لها أنه يسألها أكثر من إصدار الأمر، جلس كلاهما مقابلا للآخر في كافتيريا قريبة للمشفى لتشرب قهوتها بهدوء، ويبادر هو بالنظر إلى النافذة وهي تنقل مشهد الغيوم الرمادية قائلا:

– يا له من جو كئيب، أليس كذلك؟

– لا أعتقد ذلك.. إنه الجو الوحيد الصادق.

– ما الذي تعنينه يا آنسة؟

– هذا الجو هو الوحيد الصادق، إنه يمنحك أملا بأن هناك أمطارا ستغسل قلبك، لكنه لا يكذب عليك، أنت ترى الغيوم وتتوقع ما سيحدث.. فإن صدق فستفرح، وإن لم تفعل فلن تتفاجأ، تماما مثل الحياة.

– هل تتوقعين أنها ستمطر؟

– عفوا!

كانت تتأمل الغيوم حين فاجأها بسؤاله فأعادت ظهرها للخلف قليلا واعتدلت لتقول بهدوء:

– هل دعوتني لتسألني عن الطقس؟

– لن تضيرك الإجابة، ومثلما قلت.. قد نصيب وقد نخطئ.

– وما هو توقعك؟

– أعتقد أن الضباب سيملأ الأرجاء.. لكنها لن تمطر.

– بل ستمطر.. وبعد ثلاث عشرة دقيقة.

ابتسم الطبيب ليعيد نظارته للخلف ثم ينظر إلى هاتفه ويقلب به ثم يعيده للطاولة، وضع كوبا آخر من القهوة لها، بينما بادر بوضع سيجارة في فمه ليومئ لها بالسماح، فبادلته نظرة عدم اهتمام لتحتسي القليل من كوبها ثم تنظر إليه.

– كانت معلوماتك دقيقة بشأن العجوز واتسون، فهل يمكنك إخباري كيف توصلت لما حدث؟

– لا أعلم.. رأيت الحادثة عندما مرت جثته أمامي، ثم سمعت صراخًا فتتبعته.

– تعجبني صراحتك يا آنسة.

– ومما سأخشى؟ أن تعتقد أنني مجنونة؟ لقد حدث ذلك كثيرا حتى تعودت عليه.

– أتعنين أنك تستطيعين رؤية القاتلين؟

– أعلم جيدا سر هذا السؤال.. لكن ما لا تعلمه أن الأمر ليس سهلا.

– لماذا؟

– هل تعتقد أن عيش حياة الضحية.. والشعور بألمها قبل أن تموت شيء جيد؟ أنت شرطي لا يهمك سوى معرفة القاتل، لكن أتعلم لماذا تبحثون عن القاتل أصلا؟

– إن قدرتك مذهلة يا آنسة.

– بل مخيفة.. لا يُقتَل الجميع بنفس الطريقة.. هناك من تتمزق أوصاله، هناك من يُطعَن ممن كان قلبه ينبض حبًّا له، هناك من يحترق حيًّا، هناك من يغرق.. أتعتقد أنه من الممتع أن أعيش حياتهم قبل أن يقتلوا؟

– لكن...

– لا تحاول..

بدأ المطر يهطل فنظر ماركو إلى هاتفه و ابتسم، بينما وقفت هي لتقول:

– بما أن أسئلتك لا إجابة لها لدي.. سأغادر.

– سؤال آخر يا آنسة!

– ماذا؟

– لماذا هذا الحزن يغلف عينيك؟

– ... وداعا.

غادرت دون أن تلتفت للخلف، بينما راح يراقبها من الواجهة الزجاجية، لم تفتح مظلة ولم ترفع قبعتها، بل سارت بهدوء تحت المطر بعد وضع سماعتيها، اتصل ستيفن لتنظر إلى اتصاله ثم تعيد

الهاتف لجيبها، كان الجميع ينظر باستغراب لها كيف تقف تحت المطر ولا تبتل، بينما انتظرت هي الإشارة الخضراء وسارت تتذكر ما حدث قبل خمس سنوات عندما تغير قدرها وتحولت إلى ما هي عليه الآن.

صديق جديد

وقفت چيزا أمام المترو تنتظره، كان هناك عجوز مع طفلة، أما الناس فقد كانوا يجلسون كل منهم منشغل بموضوعه، رفعت صوت الموسيقى في أذنيها متجاهلة فوضى العالم حولها، مضى الوقت، حتى تذمر الجميع من تأخر المترو، لكنها بقيت مكانها، وسط تدافع الجميع أسرعت الطفلة من أمام جدتها وتحركت بسرعة نحو الرصيف وكادت تقع، لكن چيزا ركضت دون وعي منها نحوها وأمسكتها لتسحبها ويتوقف المترو أمامها، اندهش الجميع من سرعتها وصورت الكاميرا تلك السرعة الرهيبة، وضعتها أمام جدتها لتسرع إليها الأخرى تبكي وهي توبخها، بينما ركبت بطلتنا كأنها لا تسمع شيئا، ابتسم المحقق خلفها، وركب وراءها.

اتخذت من العمود مسندا لها لتتكئ عليه وسط مر اقبته لها، وحالما نزلت بقي يتبعها، وصلت لواجهة زجاجية داخلها فستان سهرة أسود فوقفت ثم التفتت له بهدوء لتقول:

– كف عن اللحاق بي.

– قدرتك مدهشة أيتها الفاتنة.

– كان بإمكانك استدعائي بدون الحاجة لطرق المنحرفين هذه.

– لكن استدعاءك لا يفيد بشيء.

– طالما تعلم ذلك، توقف عن ملاحقتي.

– قهوة؟

– ألن تتوقف؟

– أرجوك!

ابتسمت رغم رفضها لذلك، نظرت لساعة هاتفها لتجد الوقت قد تأخر، نظرت له لتقول بإحباط.

– تأخر الوقت لشرب القهوة.

– أعرف مطعما صينيا قريبا.

ضحكت بهدوء تتبعه، كان مرحا وهادئا، لكنه لم يكن سهلا أبدا، راقبت طريقة سرده للأحداث وجاملته بابتسامات خفيفة، توقف وهو يأكل النودلز ليقول:

– لم أسمع قصتك بعد.

ابتسمت ابتسامة حزينة ونظرت إليه، حركت يدها على الطاولة وحركت عصيان الأكل داخل الطبق بهدوء لتقول:

– قصتي تختلف عن قصص الجميع، فأنا لا أذكر أي شيء قبل العاشرة، فتحت عيني لأحتفل بعيد ميلادي العاشر مع ستيفن، لا أعلم كيف يمكنني توقع الطقس، ولا كيف يمكنني أن أعلم كيف يموت الآخرون، كل ما أعلمه أنني أعلم.

– لكن.. لا بد من أن الأمر له سبب!

– طبعا، لكنني لا أعلمه، ستيفن يعلم عني أكثر مما أعلم، فهو حفيد العجوز التي ربتني.

– هل والداك ... ؟

– لا أعلم!

– أنا آسف!

– وفر عبارات المواساة، أستغرب تصرفات البشر حين يعتذرون عن شيء من الطبيعي أن يحدث.

– إنها نوع من الشعور بالآخرين.

– شعور سخيف!

– تقصدين أنك لا تشعرين بالأسى على الآخرين؟

– ليس بشيء لا طاقة عليه.

– كيف أنقذت ذلك الطفل و أنت تقلبين هاتفك وتسمعين الموسيقى بأعلى درجة؟

ابتسمت ونظرت بعيدا إلى طاولة بها ثنائي يقوم الرجل فيها بخطبة الفتاة وسط صمتها وهدوئها، لتقول:

– سترفضه... وسيصبح شكله محرجا.

وقفت من مكانها و اتجهت ناحية الشاب لتقول:

– مايكل؟ هل ستتزوجها؟! اعتقدت أنك انفصلت عني لأنك تحاول الهرب من مشاعرك ليس إلا..

كانت تقولها بمشاعر من الغضب والألم لتصفعه قبل قول شيء وتقول:

– لا أصدق أنني أحببتك..

وذهبت إلى طاولتها لينظر إليها المحقق بإعجاب، قبل قوله شيئا أشارت له بدفع الحساب والمغادرة، تحدثت الفتاة وو افقت بينما هما يقفان عند منصة دفع الحساب أطرقت تضحك ثم غادرا، وبعد مدة من السير في البرد كسر الصمت ليقول:

– مدهش ما فعلته في الداخل!

– ألن تسألني كيف عرفت أنها سترفضه أو اسمه؟

– لا.. فقدرتك أصبحت واضحة لدي، لكن لماذا فعلت ذلك؟ ألم تخشَ أن يتسبب اعتر افك له بتأزم الأمور؟

– لا.. فحبيبته كانت مترددة، الفتيات غريبات، فشعورها بالغيرة من ظهوري ورؤيتي كمنافسة أجبرتها أن تقبل.

– رغم أنك تحاولين إظهار نفسك كشخص لا يشعر، لكنك حقا عطوفة وطيبة.

– أنا لا أحاول، أنا منطقية فقط.. أستخدم كل شيء بقدر.

– سعدت جدا بمعرفتك آنسة چيزا، و أتمنى كثيرا أن نصبح أصدقاء.

– بشرط.

– شرط؟ ما هو؟!

– توقف عن ملاحقتي، أنا أكره ذلك.

ضحك ماركو ومد يده مصافحا، كانت چيزا تعلم جيدا أن لا شيء اسمه صداقة بين شاب وفتاة، ولا بد أن أحدهما سيتأذى مثلما تفعل هي، لكنها قررت أن تجازف، وجود ماركو سيلهيها عن التفكير بستيفن، وسيوسع آفاقها.

أوصلها للمنزل لتبتسم وتودعه، ما إن ابتعد حتى سارت لتصل إلى ساحة كبيرة بها بو ابة حديدية، وخلفها منزل لا يظهر منه إلا بعض

من معالمه، كان مُحترِقا كليًّا، لكن بعض الأعشاب كسرت شبح الموت الذي كان يطوف هناك لتنمو على جوانبه، ابتسمت تنظر إليه، ثم دفعت البوابة ودخلت...

لم يخفها الظلام، ولم تردعها الرياح الباردة التي كانت تمزق وجنتيها، وضعت يدها على إطار الباب لتتذكر شكله عندما كان منزلًا جميلا جدًّا بأرضية حمراء وجدران مماثلة...

مر طيف طفلة من أمامها تركض، فتبعتها لتعانق الأخرى والدها وترافقه نحو الداخل، في المطبخ وقفت امرأة جميلة تخرج صينية من الفرن ليعانقها الأب من الخلف ويقبل خدها، تبتسم وتطلب منه الابتعاد لأن الصينية ساخنة جدًّا، وحالما تضعها يعانقها بقوة فيدخل فتيان، أحدهما بالخامسة عشر فتقول:

– ليس أمامنا، لديكما غرفة.

يضحك الوالدان وكذا چيزا لتصطدم ابتسامتها بدموعها، وتمد يدها لتلمس وجه ثيودور الصغير لكنها لا تستطيع، فترتعش أصابعها وتجلس أرضًا تبكي بحرقة، تحس بيد تلمسها من الخلف فتلتفت لتجد ستيفن يقف.

– ما الذي تفعلينه هنا؟ أتبكين؟ ما خطبك چيزا؟

تنظر چيزا إليه مليًّا، ثم تسرع بعناقه وهي تتشبث به بقوة، يضع يده على شعرها مربتا، ثم يرفع قبعة معطفها ويغطيه.

– لا أعلم ستيفن، هناك عائلة فقدت حياتها في هذا المكان، كلما تذكرتها لا أستطيع الابتعاد.

– لهذا جئت بك إلى منزلي، أنت تتألمين كل مرة بدون داع.

– كيف؟ كيف وجدتني؟

– مثل كل مرة، لم يعد من الصعب أن أحزر مكانك.

– لنغادر ستيف، أشعر بالاختناق هنا.

ركب كلاهما السيارة ليربط ستيفن حزامها وهو يرى نظرتها للمنزل، شعر بالحزن، لكنها كانت شاردة لتنتبه له، بقي ينظر لها لبعض الوقت قبل أن يشغل المحرك وينطلقا، كانت هادئة وضائعة بينما حاول هو أن يفتح حديثًا معها فالطريق طويلة، لكنها كانت غارقة في ذكرياتها، مضى وقت قبل أن تلتفت إليه وتقول فجأة:

– ستيفن!

– ما... ماذا؟

– هل تعتقد أنهم تألموا عندما انفجر البيت؟

– چيزا؟

– لا أستطيع أن أنسى الأمر يا ستيف، كيف أمكنهم قتلهم بهذه الطريقة؟ ألا يشعرون بالألم أو المرض؟

– إنهم سايكوباثيون چيزا، مرضى نفسانيون، بنفس معتلة، وصدر لا يحوي سوى الفراغ الذي يلتهمه من لم يجد من يرسله إليه.

أطرقت چيزا بحزن تفكر بكلامه، بينما شعر هو بألمها فأوقف السيارة والتفت إليها ليقول بهدوء وحزن:

– البشر ليسوا ملائكة يا چيزا، لا فائدة من عيشنا في عالم المثل عزيزتي، أنا لا أحب الحروب لكنها طريقة الله في تطهيرنا، هو يخبرنا عبرها كم نحن كائنات مريعة، كيف أننا غير قادرين على تقبل اختلافاتنا رغم أننا من نفس المصدر.

– لكن يا ستيف.. ما الفائدة من حرب سيقف قائداها على أشلاء جنودهما؟

– إنها جزء من استعراض القوى، بغض النظر عن الفائز، هناك أم ثكلت أو زوجة ترملت، هناك عائلة تيتمت، وأخرى تشردت، لكن غرورنا يمنعنا من رؤية ذلك.

– أتمنى لو أن لدي قوة خارقة لأمنع البشر من التحارب.

ابتسم ستيفن ومسح على رأسها لتشعر بالحرج وتتورد وجنتاها، رأى ذلك فضحك و أبعدت هي يدها ملتفتة للنافذة، شغل السيارة مجدَّدا يقهقه بينما ابتسمت هي بخجل ناظرة عبر النافذة.

كانت تنبض بالحياة مليئةً بالحيوية، لم يكن هناك ما يحزنها أو يجمد قلبها، كان كل شيءٍ سعيدًا، وكانت قادرة على أن تهرم وتكبر في السن، لكنها الآن مجرد جثة تتحرك.

بداية الظلام

بدأ كل شيءٍ في ليلة ماطرةٍ حين كانت متجهةً للخروج من المشفى، اصطدمت بشاب وسقطت أرضًا وهي تحاول الاعتذار لأنها كانت مستعجلة، لكنه لم يلتفت إليها حتى واستمر ليقف بعد بعض خطوات عندما أضاء شيء بيده ليعود فلا يجدها.

حاول (نان) أن يقتفي أثرها لكن المطر محا كل معلم لها، أما هي فقد ركضت لتلحق بستيفن وحالما وصلت كان جسدها جافًّا، استغربت ليقول الآخر بسخرية:

– توقعت أنك ستصلين و أنت تقطرين.. لم أعتقد أنك ستأتين جافة.

– لا عليك.. هل وصل الجميع؟

– لا... لم أدعُ أحدا.

– ماذا؟ لماذا؟

– لأنه يومي المميز.. لا أريد لأحد أن يفسده.

– حسنا.. لن أناقشك فاليوم تخرجك.

ابتسم ستيفن ودخلا المطعم الذي يملكه ماينوك، كانت چيزا تعشق الطعام لدرجة أنها مستعدة لتجربة أي شيء جديد، وبطبيعة الحال فإن الطباخ سيحب أي شخص لا يطلب تغيير الوصفة الأصلية له.

وصل لماينوك طلب الطاولة السابعة، وكانت تحوي جملة أن الزبون يريد تذوق أي شيء جديد، حفزه ذلك للطبخ ولتقديم الطبق لها بنفسه ليفاجأ بفتاة نحيلة رشيقة، ابتسم وهو يقدم الأطباق الستة.

كانت للأطباق خدعة، أن كلا منها تعكس شخصية أحد إخوته، فاختارلساينوم طبق الدجاج المتبل المطهوببطء، أما تايتن فقد وضع له طبق السلطة المشكلة من سبعة أنواع أحدها هو المحار، أما لنان فقد اختارطبق حساء ثمارالبحر، أشارلنفسه بطبق السباغيتي مع كرات اللحم، فايوري طبق الصلصة الحارة والحلوة، أما واردو فقد مثله بتحلية غامضة مع الشوكولا وفاكهة البحر الحلوة.

عبرت چيزا عن فرحتها برؤية الأطباق وصرخت بفرح لينظر لها الجميع ويضحك ستيفن، أما ماينوك فقد طلب منهما مشاركتها الطاولة لرؤية مدى تفاعلها مع الأطباق.

بدأت بحساء ثمارالبحر ثم أغمضت عينيها تستلذ وهي تقول:

– إن هذا الطبق قوي جدا رغم أنه هادئ، يعكس هدوء الأمواج قبل هبوب العاصفة.

ابتسم ماينوك وراح ينظر إليها ليقول بفرح:

– جميل جدًّا، و أين القوة؟

– القوة في اللدغة الأخيرة قد لا ينتبه أحد إلى الزنجبيل، ولكنك مزجته مع الفلفل الأسود ليبدو أن اللدغة منه.

ضحك ماينوك ثم قدم لها طبق الدجاج لتصطدم الرائحة بأنفها وتقول:

– الكمون! كم أعشق هذه التوابل، إنك عبقري.

– تذوقيه!

بدأت چيزا تتناول الطعام وهي تستلذ بكل قطعة، لم يعتقد ماينوك للحظة أنها قد تنهي الأطباق كلها، كانت تأكل بنهم وكأنها لا تشبع، بينما قاطعها ستيفن في التحلية قائلا:

– أعتقد أنها حفلة تخرجي؟ أتركي القليل لي.

– حسنا.. هناك كعكة سأشاركها إياها.

– هههه، حسنا، شكرا لكرمك.

– هلا عرفت اسمك آنستي؟

– اسمي چيزا.

– سُرِرت بمعرفتك آنستي... سيسعدني مجيئك إلى هنا دائما.

– سأكون أسعد.

جلس الثلاثة على طاولة واحدة بينما تشارك الجميع قصصا كان أغلبها عن الطبخ أو الطب، بينما تولت چيزا دور المرحة والنهمة، عندما وصل الحديث إلى أهل چيزا صمتت، وحاولت مداراة توترها، نظرت لهما وهما يحاولان استعلام ما يحصل بينما قالت بهدوء مبتسمة وبتوتر يغطيه الحزن.

– حسنا... والداي تخليا عني و أنا في الرابعة من عمري.. لا أذكر سوى رسالة تُرِكَت مربوطةً بوشاحي و أنا أقف تحت جسر لندن، لا أعلم لماذا فعلا ذلك.. لكنني أعلم أنهما أجبرا على التخلي عني، خاصة وأنهما لم يتركاني في ميتم..

– چيزا؟!

– لا بأس ستيفن.. لقد تخطيت الأمر، الله رعاني وتبنتني عجوز سمتني چيزا، لم يمض وقت قصير عليَّ حتى وجدتني، عاملتني كما لو كنت حفيدتها وكتبت لي بيتها.

شرب ماينوك القليل من النبيذ ليقول بهدوء.

– أتعلمين أن اسم چيزا ينتمي لأفريقيا؟

– حقًّا؟

– نعم، معنى اسم چيزا الظلام، بلغة سواحيلي هو الظلام، لا بد أن من تبنتك كانت تنزانية أو كينية.

– لكن سكان أفريقيا سود، أليس كذلك؟

– نعم.

– لكن السيدة كارتر كانت بيضاء جميلة.

– من الغريب أن تسميك بهذا الاسم!

– لكنني أحب اسمي، لا يهمني معناه.. لطالما كنت أحبه وسأظل..

– سعيد بذلك حبيبتي.

كان ذلك صوت ستيفن ليبتسم ماينوك وهو ينظر لهما ويبادر بوضع طبق من مورينغ الشوكولا لتصرخ بفرح كأن لم يمسسها حزن قط، وهي تسرع باحتضانه وسط ضحكات الشابين، مضى الوقت سريعا وغادرت چيزا مع ستيفن للبيت بينما بقي ماينوك يرى خيالهما وهما يغيبان في الضباب.

عاد للقصر سعيدًا وهو يطبخ ليشعر به كل من هناك ويجتمع فايوري وتايتن به محاولين الاستفسار وهما يخطفان الطعام من أمامه، ليقول بهدوء:

– لقد قابلت فتاة مميزة.

– أتقصد بشرية؟

– وهل هناك مخلوقات غيرها؟

– ما الذي يجعلها مميزة؟

– اسمها الظلام.. ما رأيك؟

– غريب، لم أعلم أن البشر يسمون هذه الأسماء هنا.

– نعم..

دخل نان وكان وجهه مختلفا ليقول ساينوم:

– أهناك مشكلة نان؟

– لقد قابلت اليوم فتاة غريبة أضاء حجر فايوري بسببها.

– ماذا؟

– لقد أخبرتكم أنه يعمل.

– أتقصد أن الكايو فتاة؟

– نعم.. قابلتها عندما كنت في طريقي إلى المشفى.

– هل تذكر شكلها؟

– نعم.

وقبل قول كلمة كان قد فتح راحة يده ليروها، كان ماينوك قد غادر الغرفة ليعود ويجدهم مجتمعين حول صورة چيزا فصرخ عاليا.

– الفتاة المميزة.

– كلاكما التقيتما نفس الفتاة!

– إن كانت الكايو فعلا.. فعلينا إيجادها.

واردو

بما أن الإخوة وجدوا الكايو أخيرا، فقد بدأت لعبة المطاردة المفضلة لديهم...

الشخص الوحيد الذي لم يشاركهم هو واردو، فهو ومنذ سنوات انشق عنهم وقرر أن يعيش حياته بعيدا عن رائحة البشر التي تخنقه.

لطالما فضل واردو البقاء وحده في الجبال حيث بنى من مغاراتها قصرا يخصه لا يقترب منه أحد، فكان أشقاؤه يزورونه بين الفينة والأخرى وقد ينزل إليهم في عيدهم.

استيقظ يومها على صوت ضوضاء في المطبخ ليجد إخوته يتقاسمون الفطور بينما نظر لهم بغضب مكتوم.

– ما الذي أحضركم؟

– أتينا لزيارة شقيقنا المغترب عنا.

كان ذلك صوت ساينوم ليبتسم نان ويرمي بنفسه على الأريكة ثم يفتح كتابه، بينما يضحك ماينوك وهو يدخل الأكل قائلا:

– الأكل جاهز، لنأكل معا.

اجتمع الإخوة حول الطاولة بينما جلس واردو في رأسها وهو يضع رجلا على الأخرى ير اقبهم وهم يتحدثون ليتذكر طفولتهم وهم يلعبون معًا ويمرحون، وضع مرفقه على مسند الكرسي و اتكأ على كفه متأملا ذلك المشهد، بعد لحظات قال فايوري قاطعا تأمله:

– بما أننا وجدنا الكايو.. يجب علينا إحضارها للقصر.

استغرب واردو بينما تابع ساينوم:

– لكنها بشرية! أليس من الغريب حدوث ذلك؟

– إنها فاتنة.. وهي تخصني بعد أن تنهي أبحاثك فاي.

– لكنها طيبة.. لقد تناولت طعامي.. إنها مختلفة عن البشر.

نظر واردو إليهم بدون أن يتحرك، كان يقلب نظره بينهم، بينما ر اقبه نان بهدوء هو الآخر، واردو رغم كونه أصغرهم كان أغمضهم و أكثرهم غلقا على نفسه، بعد مدة غادر كل منهم لمكان بينما بقي نان وواردو معا في غرفة المعيشة ليقول نان والآخر سابح في معالم المدينة من خلال النافذة الزجاجية.

– لماذا لم تعلق؟ ألم يكن هدفنا من البداية إيجاد الكايو؟

لم يجبه واردو ليقترب منه وينظر إلى ما يراه، كانت النجوم تبدو جليةً رغم أضواء المدينة، أما القمر فقد كان خيطا رفيعا يكاد لا يُرى،

أما المزارع فقد كان يبدو منها فزاعاتها وأضواء جانبية من المشاعل القديمة، اتكأ نان على الحائط ليقابله ويقول:

– ألست سعيدا أننا وصلنا لها؟!

– وهل يهم؟

– واردو!

– لسنوات استغربت لماذا أُبِيدَ شعبنا؟ ولماذا رغم كوننا خليطا من جيلين لكننا قتلنا آباءنا.

– واردو!

قالها نان وهو يصرخ ليلتفت واردو إليه بهدوء ويبتسم نصف ابتسامة، ويقول جملة ويختفي تاركا نان غارقا في حزنه وغضبه، كان الجميع يتوقع بعد إيجاد الكايو أن واردو سيفرح ويتحمس، لكن الو اقع خالف ما بنوه في أدمغتهم، لطالما كان واردو غامضا لكنه الآن يبدو كمن غاص في عمقه حتى غرق، فعجز الجميع عن إخراجه لأن أحدًا لم يكن يعلم مكانه.

اللقاء المخيف

في منزل بأعلى بناية بالمدينة تجلس چيزا على الشرفة وهي تضع قدميها في الهواء، يقف ستيفن خلفها ليقول بهدوء وهو يجلس بجانبها ويقدم كوب كاكاو.

– ما الذي تفكرين به؟

– لا أعلم... لدي إحساس سيء.

– إحساس سيء؟ بشأن ماذا؟

– لا أعلم.. لدي إحساس بأن هناك ما سيحدث.

– انفضي عنك هذه الأفكار عزيزتي وهيا للنوم.

– لا.. اذهب أنت، سأبقى هنا لبعض الوقت.

– لكن الجو بارد.

– هل نسيت أنني لا أمرض.. غدا ستبدأ كجراح، فاذهب للنوم.

– لا.. سأبقى معك لأمنعك من التحدث إلى حبيبك.

ضحكت چيزا وهي تميل له ليبدآ في تذكر كل شيء وهما يضحكان، كانت ساعات كافية لتنسى فيها خوفها من المجهول، استيقظ ستيفن متأخرًا ليتجه لغرفتها فيجدها نائمة على الأرض، ابتسم وبقي يتأملها ثم استحم وغادر بعد وضع الفطور.

فتحت چيزا عينيها لتنظر حولها فتجد نفسها نائمة على الأرض، استغربت محاولة التذكر، لكن رأسها كان فارغا، جلست لفترة ثم قامت لتستحم، نزلت القطرات على رأسها لتسمعها كأنها تدق دماغها، أغمضت عينيها لترى دماء، فتحتهما بسرعة لتجد الماء تحول إلى دماء تغطي كل جسدها، حاولت أن لا تفزع فارتدت منشفة وبدأت تمسحها لكنها كانت عالقة بها، جلست أرضا وقد استسلمت لذلك الأمر مرتدية روبها، وجدت تايتن يجلس في غرفة المعيشة ليقول مبتسما:

– عزيزتي الفاتنة.

– من... من أنت؟ وكيف دخلت إلى هنا؟

– لا يهم من أنا.. ولا كيف دخلت، لكن ما يهم فعلا هو أنك تخصينني.

– أخصك؟ غادر من هنا حالا.

– تؤ تؤ تؤ... لا تكوني قليلة الذوق.

– لا بد أنك مجنون..

نظر تايتن لجسدها المغطى بالدم و ابتسم بمكر يفحصها لتتوتر فيقول:

– يبدو أن هديتي ر اقتك!

نظرت چيزا للدماء التي كانت لا تزال عالقة، لتدرك أنها لا تحلم، بينما ابتسم تايتن ليقترب منها بسرعة خاطفة فيقف مقابلها ويقول وقد تغيرت عيناه للون الأحمر وظهرت أنيابه:

– هل تسمحين؟

وقبل قول كلمة كانت قد سقطت مغشيا عليها ليقول بغضب وسخرية:

– تبا... لقد أفسدت علي متعة إخافتها.

ثم بدأ يخزها بإصبعه لتستيقظ لكنها كانت غارقة بصدمتها، بعد تعبه من استيقاظها غادر بعد إخفاء معالم حضوره.

جلس في غرفة المعيشة وهو يتثاءب مللا ليسأله ساينوم عما يحدث فينقلب على بطنه وهو يقول بإحباط:

– الكايو مملة... لم تتحمل بعض الدماء فقط.

– هل وجدتها؟

– نعم. الأمر ليس صعبًا فهي فتاة، و أنا أعرف كافة الفتيات هنا.

– وكيف هي؟

– بشرية ضعيفة.. لم تتحمل القليل من المزاح.

– ما الذي تقصده بالمزاح؟

– نحن نحتاج دمها، لكن هناك جبنا في دمها، لم تتحمل القليل من الدماء.

– تايتن!!

– لا يهم... ما زالت هناك ألعاب أخرى.

ابتسم تايتن وهو يأخذ تفاحة يقضمها متجها نحو الأعلى.

استيقظت چيزا لتجد نفسها نائمة على الأرض، نظرت حولها فوجدت نفسها ترتدي نفس البيجامة، مسحت العرق وهي تحمد الله أنه حلم لتجد خصلا من شعرها مبتلة، قربت كفها ومسحت عليه لتبدأ بالبكاء.

– تبا...ما الذي يحدث؟!

أما ساينوم فقد ولج إلى أفكار الآخر لمعرفة مكانها، لم يجدها في المنزل فقرر انتظارها.

عادت چيزا بعد مدة من المشفى لتفتح باب المنزل وتتفاجأ بساينوم جالسًا، ارتعبت وتراجعت للوراء ليغلق الباب بسرعة وهو

يقف مقابلها، نظرت له وقالت بغضب ودقات قلبها تكاد تُسمع:

– ما الذي تريدونه مني!

– دمك.

– ماذا؟

– أنت هي الكايو..

– كايو؟

– نعم.. فتاة بدماء نقية.

– وما الذي تريدونه مني؟

– لماذا الفتيات غبيات!

– غادر بيتي حالا.

قالتها بغضب ليطرق بهدوء ويقف أمامها بغضب، ليردف قائلا:

– إنها ليست طريقة مهذبة.

كان الوضع مخيفًا مهما حاولت كتم الأمر، تراجعت للخلف لتصطدم بالحائط ويتابع هو قائلا:

– سأعود لزيارتك.

غادر ساينوم فجأةً لتسقط أرضا جاثية تلتقط أنفاسها، دخل ستيفن المنزل فرآها بذلك الشكل ليسرع إليها ويمسكها.

– ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟! نبضك متسارع جدًّا.

– أعتقد أنني أُصَاب بهلوسات!

– أنت تحتاجين إلى بعض الراحة.. تعالي.

تناوب الإخوة عليها لتنقلب حياتها إلى كابوس مريع، كانت تحاول فهم ما يحدث وسبب هذا الإصرار على أخذها، فكرت مرارا بينها وبين نفسها أن بإمكانهم ببساطة خطفها، فلماذا يحرصون على الظهور والاختفاء بهذا الشكل المريع، و انتهت في النهاية إلى استنتاج تطلب منها شجاعة كبيرة ألا وهو أنهم مجرد خيال، وأن عليها تجاهلهم.

مضت الأيام والكوابيس لا تفارق ليلها، بينما الإخوة سايتن يتناوبون عليها في النهار، أصبحت شاردة مشتتة الانتباه، بعد مدة حبست نفسها في منزلها خاصة بعد سفر ستيفن بسبب عمل مهم، أصبحت الأيام متشابهة وهي تتناول العقاقير لتنام.

عاد ستيفن أخيرا بعد غياب دام شهرا لزيارتها ليتفاجأ بحالة البيت، كان كل شيء فوضويا، ركام وحطام، زجاج متناثر... ليجدها منطوية على نفسها في أحد الزوايا، أسرع إليها ليفحصها فوجدها في حالة مزرية، اللون البارد في عينيها أصبح جليدًا، والوجه الذي اعتاد على الضحك أصبح أصفر شاحبا كأوراق الخريف، جس نبضها فوجده ضعيفا، حملها بسرعة ووضعها على السرير حيث أسرع

للحمام وأحضر مصلا وعدة الإسعافات الأولية لمعالجة جراحها، تحركت قليلا، ثم ارتعدت مبتعدة عنه ليحاول طمأنتها، نظرت له ثم بدأت بالبكاء وهي تمسك قميصه بشدة وتشده.

– أنا أجن يا ستيفن.. إنهم لا يدعونني وشأني.

– اهدئي قليلا، سأعالجك.

– أنت طبيب يا ستيف، ستعالج جروحي الظاهرة، لكنك لن تدعهم يرحلون إنهم هنا.. هنا.

وبدأت تضرب رأسها ليمسك ذراعيها و يشدها نحوه قائلا:

– أنت لست مجنونة. ما دمت ترينهم، فلا بد أنهم موجودون فعلا.

– لا أحتاج مواساة ستيف، إنهم لا يدعونني وشأني.

– اهدئي قليلا وسأبقى معك هنا الليلة وأر اقبك، لن أدع أحدا يقترب.

– حقًّا!

– بكل تأكيد.

قالها وهو يحقن المصل بمادة منومة لتغط في نوم عميق على يده، ابتسم وجلس بجانبها، بقي ير اقب تفاصيلها بحزن، مضى

الوقت وأشرقت الشمس، فتحت چيزا عينيها لترى ستيفن نائما بذلك الشكل، كانت يده تسند رأسها وهو متكئ على مسند السرير جالسًا، ابتسمت وهي تشعر بالأمان لأول مرة منذ زمن طويل، تذكرت لماذا وقعت في حبه بينما بقي هو صديقا مقربا لها فقط.

لطالما كان هناك ليساعدها لكنه كان يبقيها صديقةً فقط، كان تكرر في نفسها دائما أنه لو كان هناك مكان شاغر في دفتر العائلة، لكان أضافها دون تردد... أمسكت يده وشدتها لتكمل نومها، بينما ابتسم هو عندما فتح عينيه ووجدها تدعي النوم.

في منزل الإخوة كان الخمسة يجتمعون على طاولة الفطور، ثم بدأ نقاشهم الحاد.

– ما الذي تنوون فعله؟

– لا شيء.. طالما أنها ترفض.

– لماذا لا نختطفها ببساطة!

– أنت تعلم أن ذلك ليس أسلوبنا تايتن.

– أستطيع أن أصنع مصلا لغسل دماغها وحملها على الذهاب معنا برغبتها.

نظر ساينوم إلى نان الذي كان شاردًا، شرب القليل من القهوة ثم قال بهدوء:

– بم تفكر؟!

– هناك أمر غريب فيها.

– بالطبع سيكون هناك أمور غريبة...

– لا أقصد ذلك تاي.. هناك شيء آخر، أشعر أنها محمية.

– ماذا تعني؟!

– كلنا ذهبنا إليها، لكن أحدًا منا لم يستطع الاقتراب منها، هناك قوة تمنعنا من الاقتراب أكثر..

أمسك فايوري ذقنه بيده في محاولة للتفكير عندما قال بهدوء واستغراب:

– كلامك صحيح.. من وضع قانون عدم الاختطاف أصلا!

– ليس أنا!

– وطبعا لست أنا!

كان ذلك صوت كل من نان وساينوم لينظر الإخوة لبعضهم بدهشة واستغراب، تراجع نان للخلف و اتكأ على الكرسي مبتسما نصف ابتسامة، غادر الجميع بعد مدة من المناقشة لينظر ماينوك له ويقول:

– أنت تفكر بكلامهم، صحيح؟!

– لا.. بل أفكر في طريقة لأخذ دماء تلك الكايو وإنهاء عذابنا.

– هل تعتقد أننا سنتحرر بأخذ دمائها!

– لا حل آخر أمامنا.

– وما الذي تفكر بفعله؟!

– لا أعلم بعد!

غادر نان بعد أخذ قطعة حلوى وهو يفكر، بينما نظر ماينوك للساعة وابتسم، مضى وقت قصير قرر فيه أن يدخل مطبخه متجاهلًا كل شيء.

بعد ساعات استيقظت چيزا لكنها لم تجد ستيفن، شعرت بالخوف ووقفت بسرعة لتشعر بالدوار وتعود للوراء محاولة التماسك.

دخل ستيف بعد لحظات يحمل صينية لتنظر إليه بخوف وتقول وقد اغرورقت عيناها بالدموع؟

– أين كنت؟! لقد ظننت أن...

– كنت أحضر شيئا لتتناوليه.. هل أنت بخير؟!

– لقد... شعرت بالخوف!

– چيزا؟!

نطق اسمها بنوع من الخوف والاستغراب لتجلس على السرير وهي تحاول التماسك، اقترب منها بعد وضعه للصينية على الطاولة، ليمسك يدها ويقول مبتسمًا:

– لم أعهدك بهذا الضعف يا چيزا، لقد مررت بالأسوأ، واجهت الموت عدة مرات، فما الذي يخيفك بشأن بعض الظلال!

– إنها تبدو أكثر حقيقة من أن تكون مجرد ظلال، أنفاسهم، نظراتهم، حركاتهم..

– أنت قادرة على هزيمتهم.. لكنك لا تركزين بسبب كل شيء، حاولي أن تخرجي.

من الغريب جدًّا كيف نستمع إلى أحد وننصت إليه بعمق عندما نقع بحبه، أطرقت چيزا وهي تفكر بكلامه، لم تجد أمامها حلًّا سوى الانكماش على ذاتها في محاولة لإيجاد حل، بينما غادر ستيفن ليعمل، بقيت هي في وضعها، ارتدت ثيابها وخرجت لأول مرة بعد شهرين، كانت الثلوج تغطي الأرض لتعطيها رداءً ملكيًّا، بينما كانت بطلتنا تلف نفسها بمعطف من الفرو الأبيض وهي تسير بسرعة نحو المنتزه كأنها تعلم أنهم ير اقبونها، وقفت في المنتصف وهي تصرخ بغضب:

– أنا أعلم أنكم هنا.. أنكم تر اقبونني، اظهروا أنفسكم، ولنتواجه.

ضحك فايوري وكان أول من ظهر، ليليه ساينوم فماينوك، ثم تايتن ونان يقف خلفها متكئا على الشجرة، كان الخمسة يحيطونها

دون أن تظهر آثارهم على الأرض، نظرت لهم بخوف وغضب وهي تقول:

– ما الذي تريدونه مني؟

– دمك!

تحدث تايتن بعفوية و ابتسامة وهو يقترب منها، لتغضب وترفع سكينا في وجهه فيضحك أكثروهو يقول:

– هل أتيت لتهددينا بسكين؟

– أنا أعلم أنكم لن تتركوني وشأني حتى تحصلوا على دمي، ولذلك سأمنحكم إياه.

ابتسمت چيزا وقد فقدت عيناها نظرة الخوف التي كانت موجودةً قبل لحظات، مدت يدها وقطعت شريانها لتنزل الدماء على الأرض البيضاء فتحول لونها إلى لون قرمزي فأحمرداكن، بقي الإخوة يشاهدونها بدون أن يتحرك أحد عدى فايوري الذي أسرع لجمع الدماء ليفاجأ بأحد يظهر ليحول بينه وبينها، سرعان ما أزال نظرة الدهشة و ابتسم ليعود لجمع الدماء.

– لقد أفزعتني يا واردو، أعرفك على الكايو.. دعني أجمع دماءها الآن.

– كلا.

– ما الذي تهذي به واردو؟ ابتعد!

– أخبرتك لا.

جزء من الحقيقة

استيقظت چيزا لتجد نفسها في المشفى موصولةً بمصل وآلة تقيس نبضها، كانت الغرفة ورغم الهدوء الذي يسودها والصمت الذي يكسره صوت باب النافذة الذي يتحرك بسبب الرياح الشديدة فتسري في جسدها رعشة خفيفة، حاولت التحرك لإغلاقه لكن الخيط الموصول بها منعها، نظرت إلى ذراعها لتجده خاليا من أي جرح، شعرت بالحزن والألم و آثرت الصمت والنظر للنافذة بنظرة منكسرة.

دخل ستيفن يرتدي زي العمليات ومئزره الأبيض، وراح ينظر إليها وهو يتجه لإغلاق النافذة ليتحرك المئزر نحو الأمام بسبب رياح قوية فتتذكر واردو وهو يقف ليواجه إخوته، كان كل شيء حقيقيًّا جدًّا ليكون مجرد شخصيات في عقلها، تذكرت كيف حارب واردو إخوته لحمايتها، الغريب أنه كان يبدو مثلهم فلماذا قد يحميها؟

في منزل الإخوة كانت الخمسة يجلسون منهم ثلاثة مضرجين بدمائهم وجراحهم، بينما جلس نان وساينوم بهدوء في المكتبة ليقول فايوري بغضب:

– لماذا فعل واردو ذلك؟

– ألم تفهم بعد؟

كان ذلك صوت ساينوم ليلتفت نان له بهدوء ويقول متجها للنافذة:

– يبدو أن السنوات التي عاشها واردو وحده أثرت فيه كثيرا!

– ما الذي تعنيه ساي؟ بأنني لم أفهم بعد؟

وقف ماينوك متجها نحو الخزانة وهو يفتح علبة بها حبوب معالجة؛ قضم إحداها وهو يعطيهم الباقي ليقول بحزن:

– واردو لا يريد التحرر.. بالنسبة له بقاؤنا معذبين هو الطريقة الوحيدة للتكفير عن أخطائنا.

– تماما.

– ألن نتحرر أبدا؟

– هل لاحظ أحد غيري قوة واردو اليوم؟

– لهذا لم أشارك أنا ونان بالحرب.

– واردو ليس ذات الشخص الذي نعرفه، علينا إيجاد طريقة لقتل الكايو بدون أن يتدخل.

– أنت تعلم أن واردو ير اقبنا.

– ولن أدعكم تقتلونها..

ظهر واردو أمامهم ليبتسم نان له وهو يرمي له تفاحة، جلس على الأريكة يقابلهم بينما يحاول ماينوك إمساك كل من تايتن وفايوري لكي لا يهاجمانه، أما هو فقد اتكأ بهدوء تام ليقول بوجهه الجدي والحزين:

– لا تهمني أسبابكم لقتل تلك البشرية، لكننا أخطأنا مرة وقتلنا بني جنسنا، ولن أسمح بأن نتحرر من العذاب، إن قتلكم لها وسعيكم إليها يعني أننا لم نتب بعد عن ذنبنا، ما زلتم أنانيين، لا فائدة من تصحيح خطأ لا تشعرون بأنه خطأ بعد.

نظر الإخوة لبعضهم البعض وتذكروا أنفسهم في الماضي عنما قتلوا الجميع ليقفوا في المنتصف بدماء أهلهم على أجسادهم، أطرقوا بينما وقف هو مغادرا، ليتبعه نان وساينوم ويتحدثا إليه أمام الباب:

– هل ستعود لكهفك!

– لا مكان آخر لي!

– ابقَ معنا..

– وما الفائدة؟ أنتم لم تفهموا بعد الألم، فلماذا سأبقى معكم؟

– لا تنسى أن من قتلتهم في العشرين سنة الماضية أكثر بكثير من...

– أنا لا أنكر أنني أقتل البشر ولا أفكر في التوقف، لكن تلك البشرية سبب خلاصنا.. ولن أسمح أن نتخلص من الألم.

– لم أعد أفهم شيئا.

– لن يهمك الفهم نان، حاول مر اقبة فايوري وتايتن.. فهما من سيدمر انكم.

استغرب نان حديثه ليرحل الآخر دون قول كلمة... كانت السماء رغم غيومها التي لا تفارقها تنذر بعاصفة ستبيد كل شيء.

وقف واردو أمام باب قصره لينظر للمدينة في الأسفل، كان منظرًا جميلًا لولا ذلك الحزن الذي يغلف قلبه، لا تزال صورة أهله وهم يقتلونهم حبيسة ذاكرته، ورغم السنوات التي مرت والقوة التي يملكها إلا أنه غير قادر على إزالة تلك الصور من ذاكرته، تذكر كيف كان يعيش مع شعبه، تلك المنازل والذكاء الذي وصلوا إليه، تذكر كيف تدمر كل شيءٍ ببلوغهم، فقد أصبحوا غير قادرين على كبح رغباتهم، ظهرت لهم قوى جديدة جعلت مهمة إبادة الأرض سهلةً فجعلوا يقتلون الجميع.

ارتعشت فر ائصه ولمعت عيناه ليطرق ويدخل، أسرعت (ميشا) إليه وهي حيوان جمده معه عندما رموا بأنفسهم في البحر المتجمد، يشبه الأسود لكنه أكبر منها وأسنانه حادة، بفرو يستطيع تغيير لونه،

عانقها ليجلس على صدرها وينام، كانت صديقته الوحيدة التي تؤنس وحدته وتجعله يشعر ببعض مما فقده بابتعاده عن إخوته.

العودة للحياة

وصلت چيزا لغرفتها لتدخل، رمت المفاتيح على الأريكة وأشعلت سيجارة تفكر بكلام المحقق وما يريده منها، لقد علم بسرها الذي لم تحاول يومًا إخفاءه، جلست على أرضية الشرفة لتطل على المدينة من الطابق السادس عشر، كان كل شيء يبدو صغيرًا وبدون لون، تمامًا مثل حياتها التي تعيشها الآن، تساءلت مرارًا لماذا يحدث معها ذلك، لقد أدركت منذ اللحظة التي بدأت فيها بالشعور بالموتى وعيش حياتهم قبل مغادرتها أن صراع الإخوة لم يكن حلمًا، وأنها الكايو؛ خاصة وأنها بعد خروجها من المشفى قبل خمس سنوات لم تعد طبيعية.

رن جرس الباب فلم تتحرك من مكانها، مضى قليل من الوقت ليتحرك المقبض ويدخل ستيفن، سار نحو المطبخ للبحث عنها ثم الشرفة ليجدها على حالها، كانت الأمطار غزيرة لكن قطراتها لم تكن تلمس جسدها، اتكأ على باب الشرفة ليقول:

– مرحبًا.

– أهلا.. هل أنهيت عملك؟

– نعم... لم يتسنَّ لي سؤالك، هل قابلت ماركو؟

– نعم.

– ما الذي كان يريده؟

– ما يريده أي شخص يعلم بشأني.

– بماذا أخبرته؟

– الحقيقة.

– هل أنت جائعة؟

– لا.

– لكنني جائع.. هلا حضرت شيئا لأجلي؟

– هناك بيتزا، أدخلها الميكروويف وتناولها.

– أريد السباجيتي بكرات اللحم الخاصة بك.

– لا طاقة لدي للتحرك.

نظر ستيفن لشرودها وجمودها، حاول بكل طاقته حملها على التحرك، لكنها كانت كالصخور تأبى الزحزحة، جلس بجانبها رغم المطر الذي لم يأخذ وقتا طويلا لجعله يقطر، أحاط ذراعه بكتفها وهو يقول:

– أنت تعلمين أن وضعك يؤلمني صحيح!

– هل تعتقد أنني سعيدة بوضعي هذا؟

– إذًا حاولي معي.. أمسكي يدي ولنخرج معا من هذه الفوضى.

– أتظن أنني لم أحاول! لا أحد بإمكانه إنقاذي يا ستيف، لقد وقعت في الحفرة وغصت بعمق، كنت أعتقد في البداية أنني أن استلمت ووصلت للقاع فسأشعر ببعض الأنس وسأتعود على الوحشة هناك، لكنني أدركت أن المحيط الذي وقعت به لا قاع له، كلما تجلت لي الأرض أدركت أن الظلام زيفها، وأنها عمق آخر.. لا سبيل لتحريري، فلا تحاول أرجوك.

– متى أصبحت بهذا الضعف چيزا!

– عندما فهمت أن الجميع تخلى عني برغبته، وأن سنوات الانتظار التي أمضيتها موهمة نفسي أنني سأصبح بخير عندما يعودون، لقد عشت هذا الوهم كثيرًا يا ستيفن حتى تحطمت قطعي وعجزت عن جمعها.

– أنا هنا..

– لكنك سترحل مثلهم، ستجد طريقةً، ستجد حجةً، كلهم وجدوا حججًا، والأمر ليس صعبا فلا داعي لإرهاق نفسك.

أطرق ستيفن ناظرا للمدينة لتتابع هي تأملها، في السابق كانت متيمةً به، لم تكن قادرةً على رفض طلب له، لكنها الآن عاجزة حتى

عن الإنصات له، حزنها غلف حياتها وجعل منها منطقةً استوائية لا تتوقف الأمطار عن الهطول فيها.

وقف بعد مدة لتغيير ثيابه وجمع بقايا كرامته، بينما وقفت هي بعد دخوله الحمام واستلقت في غرفتها، الجوع، الألم، الوحدة كلها مشاعر تخلت عنها مع مرور الوقت لتصبح جزءا من الأثاث الذي تزين به غرفتها.

خرج ستيفن وغير ثيابه ليدخل غرفته ويجدها نائمة، نزع حذاءَها وأدارها معدِّلا إياها، أمسكت يده في حزن لينظر بسرعة فيجدها نائمة تهذي.

– لم أقصد.

ضحك ستيفن بحزن وعلت وجهه ابتسامة خفيفة ليمسح على وجهها ويغادر، جلس في غرفة المعيشة حيث شغل مباراة وحمل كتابا ليقرأه، بعد مرور ساعات دق جرس الثالثة فجرا، نظر ستيفن للساعة ووقف ليجدها و اقفةً أمامه، ارتعب وعاد للوراء لتقول هي بوجه جاد خال من أية مشاعر.

– من أنت؟

– چيـ.. چيزا؟

– منذ زمن أشعر أنك مختلف.. فمن أنت؟

– چيزا... ما خطبك؟ إنه أنا، ستيفن.

– كلا... أخبرني الحقيقة أرجوك، لقد سئمت الألغاز، سئمت شعوري بأنني مجنونة.

قالتها لتنهار أرضًا أمام قدميه، اختفى شعور الأسى على وجهه وأصبح نوعا من الجمود، تغير شكله وظهر واردو لتنظر إليه بحزن ثم بألم وتقول وهي تقف:

– أنت منهم!

– نعم.

– منذ متى؟

– ماذا تقصدين؟

– منذ متى و أنت معي؟

– منذ زمن طويل.

– أين ستيفن؟

– لقد قتلته.

شدهت عينيها واختفى كل لون فيها لتقول و أنفاسها تكاد تتوقف، كانت ترتجف غير مصدقة أن صديق طفولتها رحل هكذا، بينما وقف واردو كالصنم أمامها، شعرت بالحزن والألم والغضب، فلم تجد أمامها غير ضربه، كانت لكماتها ضعيفةً لا تكاد تصل لرقبته

بسبب قصر قامتها، أما هو فلم يتحرك أو يمنعها رغم أن قوته كانت رهيبة، بعد مدة أمسك ذراعها لتدهش وتحاول تحرير نفسها لكنه اختفى ليظهرا في قصره، نظرت بدهشة ليقول وميشا تقف خلفه:

– ستعيشين هنا بمنأى عن إخوتي حتى أقرر ما سأفعله لك.

– ماذا تعني بما ستفعله بي؟

– هدفي أن لا يصل إليك إخوتي، وإن قتلتك فسيحققون ما يريدونه، لذلك ستبقين حبيسة هذا المكان حتى أقرر ما سأفعله بشأنك.

تراجعت چيزا للوراء بينما أحاطت بها ميشا ليبتسم واردوويغادر، كانت تقيم بغرفة خالية من معالم الحياة بألوان كئيبة وشموع معلقة عدا ذلك السرير الذي يستقر تحت نافذة تسمح برؤية الثلج من خلال زجاجه، جلست عليه تتذكر ستيفن، طفولتهما ولقاءاتهما، كبرهما معًا واختيار تخصص التمريض لتكون بجانبه قبل أن تبدأ بالبكاء والشهيق، أمضت ساعات تبكي دون توقف ثم نامت لتجد طعاما على الطاولة، شعرت بالغضب وضربته ليقع أرضا عندما رأته يمر من هناك ليقف لبرهة ثم يمضي غير آبه.

مضى وقت طويل على بقائها في تلك الغرفة المعتمة، وقت كاف لتتخطى ألمها ووحدتها ولتخرج منها نحو استكشاف المنزل.

سارت في دهاليز القصر وأروقته لتصل لغرفة كبيرة، كانت تحوي كتبًا كثيرة لدرجة أنها بدت كتلك المكتبات التي تقرأ عنها، شعرت

أنها محبوسة هناك مثل الجميلة والوحش، الفرق الوحيد بينهما أن الوحش في القصة القديمة كان يحتاجها لتحرره من لعنته، لكن واردو لا يريد قتلها لكي لا يحصل عليها إخوته، إن هربت فستجدهم بانتظارها، وإن بقيت ستعيش مع قاتل عديم الإحساس.

رأت أن أغلب الكتب ورغم تنوعها لديها قاسم مشترك في تناول قصص التاريخ والفلسفة، وهناك على يمين الغرفة أريكة بطاولة زجاجية، وعلى يسارها مباشرةً مكتب بخشب أسود، تجولت تقرأ ما تقع عليه عيناها لتصطدم بكرة زجاجية، وقعت الكرة وتحطمت لمئات القطع الصغيرة لتظهر أشباح تطوف بالغرفة، كان ستيفن هناك أيضًا بوجهه البشوش ونظراته الغامزة، ابتسمت بدموع تنظر إليه قبل أن تتلاشى بسمتها وهو يرحل بعيدًا مثل جميع من عرفها يومًا، شعرت بالألم حينها وأن سكينا يُغرَزُ بعمق في قلبها من جديد ليحيي ذلك الفراغ داخله، لقد كادت تنسى ذلك الشعور بالخذلان لكنه الآن يعود، و أقوى مما كان عليه يوما.

دخل واردو الغرفة لكنه لم يبدِ استغرابه أو دهشته، سار بهدوء ليصعد إلى أحد الرفوف العلوية ويستخرج كتابًا ثم يجلس على الأريكة يقرأه بينما بقيت هي مشدوهة تراقبه بروده، مضت ساعة دون أن يتحرك وهو يقرأ لتنزل لجمع القطع وهي تقول بهدوء وغضب:

– أعتذر لتحطيم كرتك.

– إنها مجرد كرة.

– لكنها تحوي طاقة ما.. ظننتها مهمة.

– كرة الذكريات، تخبرك عن ذكرياتك التي تخشين الاعتراف بها.

أطرقت تكمل جمعها حين تذكرت شيئا فوقفت أمامه بسرعة، نظر لها بنصف نظرة وهي تحاول أن تبدو صارمة، ثم تابع القراءة غير مهتم بوجودها.

في أحد الملاهي الليلية كان الإخوة الأربعة (فايوري، نان، تايتن، ماينوك) يجلسون بهدوء؛ كل منهم يشرب شيئا وهم يفكرون بالطريقة التي سيحصلون فيها على الكايو بدون تدخل شقيقهم، غادر نان حالما راوده مشهد ما ليظهر في أعلى الجبل، كانت ميشا تجلس في البرد ليربت على رأسها طالبًا منه السماح له بالدخول، لكنها رفضت ليبتسم ويختفي.

– أنت لم تقتل ستيفن.

– نعم.

– لقد كنت أعلم ذلك..

– هل يفترض بي أن أصفق لإنجازك؟

– لماذا فعلت ذلك إذًا؟

– ماذا فعلت؟

– لماذا كذبت عليَّ، لماذا جعلتني أتعفن في حزني!

– لأنني أحب رؤية المكتئبين.

– ماذا؟

– أنا آخر إخوتي... و أكثرهم شرًّا وكرها للبشر.

كانت نظرته تتغير وهو يقف، بدت لأول مرة ضئيلة الحجم قصيرة، بدت كحشرة أمام وحش ليبتسم وتظهر أنيابه قائلا:

– أتشعرين بالخوف؟

– لا.. لا.

– صوت نبضك مسل جدًّا.

شعرت بالخوف أكثر لتتسارع نبضاتها بنبض مضطرب ويبتسم هو ثم يجلس غير آبه برجليها التي لم تعدْ قادرةً على حملها، وقعت على الأرض ليرفع كتابه وهو يضحك ليبدو لها كأن خوفها ذاك تلاشى في غمرة سخريته منها، وقفت بسرعة ووقفت أمامه تقول بغضب:

– لم أكن مستعدةً.. و أنا لا أخشاك.

ضحك واردو أكثر لتسحب الكتاب من يده ويستغرب هو جرأتها التي ظهرت فجأةً، كان نبضها متسارعًا، لكن ليس ذلك التسارع الجبان، كان تسارعا آخر، أشبه بالغضب والإحراج.

– أنتم البشر كائنات غريبة، وخاصة فتياتكم.

– ماذا تعني؟

– قبل لحظات لم تكوني قادرةً على الوقوف حتى، وها أنت الآن تحاولين ضربي.

– لم أكن مستعدة فقط..

قالتها وهي ترفع صوتها لينفجر واردو ضاحكا في وجهها، احمر وجهها غضبا وشعرت بالإحراج أكثر، فبدأت تضربه عشوائيًّا لحمله على التوقف بينما كان يبني حاجزا بينهما وهو يتابع ضحكه.

بعد مدة جثت على الأرض تلتقط أنفاسها ليبعده وينظر إليها قائلا باستفزاز:

– أهذا كل ما لديك؟

– هذا ليس عدلا.

– أمم.. حسنا، أتريدين بعض القوة؟ ليصبح وضعنا متساويًا نوعا ما.

– ماذا تعني؟

– أقصد أنني أستطيع إعطائك القليل من قوتي، القليل الذي يسمح لك بالدفاع عن نفسك.

– وما المقابل؟

– ليس هناك مقابل.

– لا أثق بك.

– لا أطلب منك ذلك... أنت ميتة على أي حال.

فكرت چيزا وهي تعطيه ظهرها لتسير للأمام أنه لكي يقتلها لن يحتاج لحيلة كهذه، ثم فكرت مجدَّدًا أن امتلاكها لبعض القوة لم يكن سيئا، بل على العكس، سيسمح لها بتطويرها وتحرير نفسها فنظرت له مجدَّدًا ملتفتة بسرعة.

– ما نوع هذه القوة؟

– يمكنك الاختيار.

– كيف ذلك؟

– يمكنني أن أمنحك أي قوة تريدين، الشفاء، القتل، الاختفاء، الطيران، القتال.

– وهل يفترض أن أختار واحدة فقط؟

– حسنًا.. بما أنني في مزاج جيد، سأمنحك اثنين، اختاري.

– أريد قوة تسمح لي بالتحمل وبرفع أي شيء مهما كان ثقيلا، كما أريد القدرة على الاختفاء.

ابتسم واردو وراح يمسك ذقنه وهو يدور حولها ليقول مفكرا بصوت عال:

– رغم أن طلبك الأول يعتبر قوتين، لكنني سأمنحك ما تريدين.

– جميل.. اِبدأ.

– هل أنت مستعدة؟

– نعم.

جلس واردو على الأريكة مقابلها ليسند مرفقه بمسندها ثم أشار بأصبعه آمرًا إياها بأن تدور حول نفسها ثم تقفز، مضى وقت على قيامها بذلك لتدرك أنه يسخر منها عندما لم يستطع منع نفسه من الضحك، توقفت بسرعة لتقف أمامه بغضب.

– أنت تسخر مني!

– مهر.. استغرقك الأمر نصف ساعة لفهم ذلك.

– كيف تجرؤ!

قالتها وهي تضربه ليختفي وتتحطم الأريكة، وقفت مشدوهةً أمام قوتها ليظهر خلفها وهو يقول:

– كان من الممتع رؤيتك ترقصين مثل بنات شعبي..

قالها ليتغير صوته لنوع من الألم بينما بقيت هي تحاول اكتشاف قوتها ليتغير وجهه لنوع من الجدية والألم.

– هذه المكتبة هي كل ما لديَّ، إن أردت معرفة قوتك اخرجي للحديقة.

– هل هناك حديقة؟

– ادخلي إلى أعماق الكهف وستجدينها.

قالها ليختفي مثل عادته عندما يشعر بالألم، أن تبوح بكل ما يؤلمك لميت هو شعور مريح جدًّا، كان واردو يتصرف بطبيعية معها، هو يعلم أنه سيقتلها بعد أن يقتنع إخوته بأنها هربت بعيدًا أو ماتت بدون أن يعلموا مكانها لاستخراج دمائها، بينما يطور هو طريقة تسمح له بقتلها بدون انبعاث الرائحة وجذبهم نحوها.

كان دافعها أقوى منه، فجأة وبعد أن كانت ترغب بقتل نفسها ها هي الآن تجد طريقة للتمسك بها، قوتها الجديدة ستسمح لها بالدفاع عن أولئك الذي تم التخلي عنهم.

تعبت فجلست على إحدى الأعشاب، كانت الحديقة أشبه بغابة وسط الكهف، بنباتات تنمو على جدرانه وعشب أخضر يغطي أرضيته إضافة لنهر يتدفق من شلال بحفرة أعلاه، كان المنظر أشبه بالخيال، سرت بجسدها رعشة باردة لتتذكر الثلج والبرد وأطفال يُساقون نحو مكان مجهول، يسقط أحدهم أرضا ليحاول طفلان مساعدته، يأتي سوط على ظهر أحدهما فيقع أرضا، تحاول الطفلة

الثانية مساعدته ليقف رجل ضخم الجثة في وجهها ويحاول إبعادها عنهما، تضربه وتبعده عنهم، تعانق أحدهما محاولة تخفيف ألمه، يقف الرجل مجدَّدًا وهو يخرج سكينا لقطع يدها التي تجرأت على ضربه فيسرع الطفل بالوقوف في وجهه ويلقى حتفه نتيجة لتلك الطعنة.

تفتح چيزا عينيها بسرعة لتفاجأ بدموع باردة تجري على وجهها، مسحتها وهي تكاد لا تصدق ما حدث، تقترب ميشا منها وتلفها لتمد يدها في حزن وتمسح على فروها فيتحول للأحمر القاني، تبتسم فرحة لملمسها وهي تحاول ملاعبتها بينما ير اقب واردو ذلك المشهد بوجه بارد خال من المشاعر، للحظات نسيت چيزا وحدتها وخواء قلبها، نسيت ألمها ومصير صديقها المجهول، مضت الأيام وكلاهما حبيس جزء من القصر، ر اقبها من بعيد وهي تتدرب، كانت رغبتها في الحياة مختلفة تماما عما توقعه، وكان أمرها سيبقى سرًّا لولا مجيء إخوته إليه على حين غرة، كان حينها شكلها قد تغير عما عرفوه قبل سنة، فمع حضورهم إليه لوليمتهم، كانت چيزا قد أمضت سنة من الوحدة في ذلك القصر.

لحظات من الزمن

جلست چيزا في حديقة قصر واردو تحاول التعود على طاقتها الجديدة في غياب ذلك المزعج الذي يفسد لحظاتها بسخريته منها، لكنها سرعان ما ذُعِرت بالملل وبدأت بتنظيف المكان، فالأنثى تبقى أنثى، لم تكن لتقبل تلك الفوضى، بدأت بجمع ملابسه ثم نظفت الرواق، وصولا للمكتبة المليئة بالغبار، وقف خلفها وهي في الأعلى تمسح ليخيفها.

– ما الذي تفعلينه؟

تحركت چيزا بخوف وفقدت توازنها ليمسكها من كتفيها، نظرت له مليًّا مشدوهة ليتابع كلامه بنفس وتيرتي الهدوء والصرامة.

– ما الذي تفعلينه؟

– أنظف!

قالتها لتبتعد عنه وينزلها هو للأرض بهدوء، عدل وقوفها وقال بهدوء و ابتسامة:

– أشكرك، لكنك لست مطالبة بذلك.

– لقد شعرت بالملل.

ضحك واردو من طريقتها التراجعية في الحديث وهي تخبره عن شعورها، ثم تابع بسخرية:

– وعندما تشعرين بالملل تنظفين؟

– ليس هناك شيء آخر أتسلى به، وميشا لا تزأر حتى أتبادل حديثا معها.

– تبا... تبدين يائسة.

قالها بسخرية لتغضب هي، اقترب منها بهدوء بينما بقيت ساكنة مشدوهة، حرك غرتها بسرعة يقول:

– يمكنك تبادل الحديث معي.

– حـ.. حقًّا!

– طبعا أيتها الكايو.

– توقف عن مناداتي بذلك، اسمي چيزا.

– اممم حسنا چيزا، تفضلي لشرب الشاي.

– ألا تتوقفون عن شرب الشاي أبدا؟

– لأنه ليس شايا.

– ماذا؟

ابتسم واردو بينما تبعته للمطبخ، وقفت خلف طاولته تراقبه، كان هناك ست عشرة عشبةً و إبريقا به مياه ساخنة، وضع كل عشبة بهدوء لكي لا تختلط بالأخرى بينما يصعد البخار ليخلطها بأناقة، وصلت الرائحة لأنفها لتصرخ بفرح:

– يا لها من رائحة رائعة.

– اهدئي، الأعشاب تشعر بك، يجب أن تكوني هادئة.

راقبته كيف وضعها، ثم أغلق الإبريق، وضع يديه حوله لتسرع بإمساكهما بخوف مبعدةً إياها قبل أن تنتبه لنظرته لها، ابتسم وهو يحرك أنفها قائلا:

– أيتها السخيفة، أنا لن أحترق من شيء كهذا.

أحرجت فابتعدت بسرعة وادعت أنها تحضر شيئًا من الثلاجة بينما ضحك هو بهدوء، نظرت للماء ثم صعدت لغرفتها، استلقت على سريرها متناسيةً كل شيء، كان تصرفها السريع عندما أبعدت يده حبيس ذكرياتها، لم يكن يُفترَض بها أن تتصرف هكذا، ولم يكن يُفترَض بها أن تلمسه حتى، لماذا لم يمنعها، لماذا كان يضحك بدل أن يصرخ فيها كعادته؟

راودتها تلك الأسئلة الكثيرة لتضرب رأسها وتجلس محاولة تناسيها، فجأة تذكرت الشاي فنزلت بسرعة لتجده في المكتبة يجلس وهو يقرأ كتابا.

– أنا آسفة لقد كنت..

– لا عليك.. تفضلي.

جلس كلاهما يقابل الآخر، حاولت إشغال نفسها بالكتاب لكنها لم تستطع فأسرعت بالقول:

– أيمكنني أن أسألك؟

– طبعا.

– كيف أصبحت الكايو!

نظر لها واردو وهو يضيق عينيه، ثم رفع حاجبيه ليعود للخلف ويتكئ في حركة مفادها التفكير، بقي وقتا يحدق بها دون قول شيء لتقول بغضب:

– توقف عن التحديق بي هكذا

ضحك واردو لتستغرب، ثم ابتسم قائلا:

– الحقيقة أنني لا أعلم، ففي الوقت الذي بدأت أول الأبحاث، لم أكن أنا هنا.

– ماذا تقصد بأنك لم تكن هنا؟

– أقصد أنه حين تمت إذابة الجليد عن إخوتي، كنت أنا قد أذبته منذ سنوات.

– لم أفهم شيئا.

وقف واردو و اتجه للنافذة ثم التفت لها ليقول:

– أنت تعلمين من نحن، أليس كذلك؟

– الحقيقة.. لا، وكنت سأسألك لكنني لم أستطع.

– نحن بشروُجِدنا قبلكم، كان شعبنا الأذكى والأمهر، لكنهم أيضا كانوا الأغبى، قبل ميلادنا بخمس مئة سنة، بدأ أحد علمائنا البحث في الكون والبحث عميقًا عن شيء ما، حذره الجميع من ذلك لكن غروره منعه من النظر للأمر، كان بإمكان الواحد منا التعمير لعشرة آلاف سنة، أي مئة ضعف تعميركم أنتم، لكنهم كانوا أنانيين ليبحثوا عن طريقة الخلود... بحث بجذب المذنبات للأرض من أجل إجراء الاختبارات عليها، في أحد الأيام نجح وجذب مذنب إيكاتورا، وهو بقايا نجم الشر تاروتا، يمر هذا النجم مرة كل سبعين ألف سنة على الأرض فينزل موجةً من الشر عليها؛ تجعل الجميع يرغب بقتل بعضه، في النهاية نجح هذا الغبي بأخذ جزء منه، وسقط في قرية تبعد عن الحضارة بمسافة طويلة لحسن الحظ، تغيرت دماء هؤلاء السكان وأصبحوا متعطشين لقتل بعضهم البعض، وأولهم (ساكبي) العالم... حمل المذنب وحلله

متجاهلا الكارثة التي تركها خلفه، لم يهمه السكان الذي بدأوا بأكل كل شيء غير تاركين أي شيء للحيوانات، ثم بدأوا بقتل الحيوانات حتى انقرضت في أقل من مئتي عام، أما هو فقد نقل المذنب نحو مدينتي وهي آخر مستوطن للأحياء على الأرض، كانت أمي حاملا بساينوم وقتها، فتغير حمضه النووي، ثم تغير شكل مبيضها ووُلِدنا نحن، ساينوم ثم ماينوك، بعده التوأم تايتن ونان، فايوري، و أنا...

لم أعتقد للحظة أن عمي المجنون ما زال ينتظر إثارة الدم داخلنا، بقينا لسنوات بخير إلى أن وجد كل منا نصفه وقررنا الزواج بأسبوع واحد، وفي يوم زفاف ساينوم... تحركت أصابعه بغضب وتحرك كل شيء حوله لتشعر بحزنه وغضبه، لكنه تابع وقد تغير لون عينيه...

اقترح عمي طقوس زواج غريبة قِيل إنها كانت تحدث قبل ميلادنا ورحب الجميع بها، وهي تبادل الدماء، تقوم العروس بجرح معصمها وملء كأس من الدم، ثم تضع به سمًّا وتجعل العريس يشربه مرة واحدة، فإن بقي على قيد الحياة معناه أنه سيعهد بحياته لها، ورغم رفض تايا لكن عمي أصر، وحالما غرز السكين طريقه لينفجر الدم فقد ساينوم عقله وكذلك نحن.. ولم نفتح أعيننا إلا ونحن مغطسون بالدماء.

قالها لترى دموعه تسبقه، شعرت بالحزن وأطرقت بصمت، التفت بعيدا يمسحها ليتابع:

– كانت تلك خطيئتنا، لم نستطع كبح أنفسنا، فقتلنا آخر بقايا جنسنا لتأتوا أنتم وتنهوا عملنا.

كان الحزن يغلف قلبها وهي تتذكر القنابل والموت، الحرب والكراهية، صمتت ولم تقل شيئًا بينما لاحظ هو ذلك، شرب الشاي بسرعة عل طعمه ينسيه ما تذكره، أما هي فقد وقفت تسير بدون وعي، كانت تتذكر كل شيء بألم...

أكمل قراءة كتابه محاولا شغل نفسه عن التفكير في خطيئته.

بعد أيام من التحكم بطاقتها، وقفت بطلتنا في المطبخ تحاول إعداد شيء لها ولميشا، بشعرها الأسود الطويل وعينيها الحمراوين، وجه أبيض بدون نمش، ويدين ناعمتين رغم خدوش القلب الكثيرة...

كانت تمسك السكين وترقص معها بمرح، ليدخل تايتن وماينوك فيريانها، دهشت ونظرت إليهما بينما تولت ميشا مهمة الوقوف بينهم مدافعة عنها ليبتسم تايتن مصفرا.

– هووه.. هووه.. شقيقنا تزوج.

سمع ساينوم ونان صوته فنظرا لبعضهما باستغراب:

– ما الذي يهذي به هذا؟

– ساي... نان، تعالا للمطبخ بسرعة، هناك مفاجأة.

فتح واردو عينيه مرهقا ليسمع أصواتهم المزعجة وهم يحيطون بچيزا، اقترب فايوري منها بسرعة لرؤيتها عن قرب فأمسكت ذراعه ورمته بعيدا، تحمس تايتن ملفتا لنان وساينوم يقول:

– إنها تروقني.

– لقد نظفت المطبخ قبل قليل... لنخرج.

– يا إلهي... لقد وقعت في الحب.

كان ذلك صوت ماينوك وهو يصفق فرحًا، خرج الجميع للحديقة لتقف هي وسط ثلاثتهم، كانت هادئة تراقب خطواتهم وهي تستدرك كل ما تعلمته، إنها لحظتها، هم هنا.. يمكنها أن تتحرر أخيرا، ابتسمت وأشارت لهم بالهجوم، كانت لعبة ممتعة وهي تراقصهم متفاخرة بحركاتها بينما راقبها الشقيقان ساينوم ونان بهدوء، وقع الثلاثة وبقي اثنان، اندفعت نحو نان متذكرةً كل ما جعلها تمر به ليمسكها من يدها ويلفها ثم يرميها، مسحت عزوجهها ووقفت مجدَّدًا لتهاجمه ففاجأها بضربة افقدتها توازنها، وقعت أرضا وأعادت الوقوف، لا سبيل للتراجع، إما أن تنتصر وتتحرر، وإما أن تموت وهي تحاول، بدل انتظار الموت لمدة أطول، ابتسم نان وقد قرر قتلها بناءً على إصرارها، وجه لكمته مشبَعَةً بكل طاقة في جسده ليجد واردو في وجهه ليتوقف ويعيدها، وقفت چيزا بتعب وواردو يقف أمامها بعضب قائلا:

– ألم أخبرك أنه ليس الوقت المناسب؟

– أنا..

– كان بإمكانه قتلك ببساطة أيتها الحمقاء.

– ولكنني..

– لنعد للمنزل.

جلس الجميع حول طاولة العشاء بينما تولى ماينوك وچيزا وضع الأطباق والأكل، بينما تحدث تايتن مخاطبا واردو وهي تستمع:

– لم تخبرنا.. من هذه؟

– أنا..

– حيوان ميشا الأليف.

– ماذا؟

صدم كلامه چيزا بينما وقفت ميشا تدور حولها لتشعر الأخرى بالإحراج والغضب وتمسك قبضتها في محاولة الهدوء، بينما أنزل رأسه للطبق يتفحصه لترسل طاولة فيه فيبتعد بسرعة وهو يضحك، ضربت قدميها وغادرت بينما عاد لوضعه السابق ليقول نان:

– يبدو أنك وجدت أحدًا، وسنتخلص من لعنتنا.

شده واردو وهو يتذكر أنه بدأ يتمسك بالحياة، جحظت عيناه لبرهة ليحاول الهدوء وهو يرفع رأسه نحوه قائلا:

– هذه الفتاة ستغادر بعد مدة، ولا يهمني شيء سوى سلامتها.

– لم تخبرنا دي، ماذا تكون؟ إنها ليست بشرية، كما أن بنات جنسنا لم يتبق منهن أحد.

– لا يهم ما تكون، أكمل طبقك وغادروا.

– إنها طاهية بارعة!

كان واردو هادئا في حضورهم مثل عادته، بينما تحرك نان قليلا نحو الداخل ليبحث عنها، وجدها في غرفتها جالسة، ابتسم متكئا على الباب لتشعر بعدم الارتياح عندما شعرت به خلفها.

– إذًا الكايو التي أرهقتنا هنا.

شعرت چيزا ببعض التوتر لكنها أخفت ذلك، سارت دون أن تلتفت إليه لتقول بهدوء:

– إذًا؟

– لطالما تساءلت لماذا يمنعنا واردو من الاقتراب منك أو اكتشاف مكانك، يبدو أن شكلك الجديد قد أوضح كل شيء.

– ماذا تعني؟

– ألم تتساءلي عن سبب تركه لك هنا؟

– أيا يكن السبب، فهو ليس من شأنك.

– أنت ميتة على أي حال، لا تتمسكي بالحياة كثيرا لكي لا يؤلمك الرحيل.

التفتت چيزا إليه بهدوء و ابتسمت، استغرب منها تلك النظرة لتشبك يديها وتقول:

– أتظن أن الرحيل مؤلم؟ قبل سنوات عندما بدأتم لعبة المطاردة معي، كنت خائفة وعاجزة، ورغم أن قوتي الآن لا تضاهيكم، لكنني أفكر، إن كان واردو قد منحني القليل فقط لأهزم ثلاثة منكم.. فماهي قوته الحقيقية.

ابتسم نان لتنظر له في عينيه وهي تقول بتحد أكبر:

– أعلم أنك الأقوى، لكنك أيضا تجهل الكثير عن قوة شقيقك.

– حاولي ألا تقنعي نفسك بذلك، فحتى واردو لن يقف بوجهي.

– أعتقد أن شكلي الجديد سيجعله يفعل.

قالتها وهي تنظر إليه بينما تتوسع ابتسامتها أكثر، ليدرك أنها فهمت أخيرا اللعبة، تراجع للخلف قليلا ليقول ملتفتا للرواق:

– حاولي أن تستمتعي بما تبقى لك.

سار نان مبتعدا ليتوقف لوهلة سائلا نفسه عن السبب الذي دفعه للثرثرة معها، إنه يكره الحديث الطويل، دخل المكتبة ليجد ساينوم وواردو يجلسان هناك حول طاولة الشاي ليقول بهدوء:

– إبقاؤها معك لن يحميها، إن لم نحصل عليها نحن، فهناك من يريدها.

لم يفتح واردو فمه، وبقي يشرب الشاي مر اقبا إياهم، التفت ساينوم إلى نان ليقول بنبرته التي لا تتغير:

– لماذا لا ننسى الأمروفقط؟ لقد جارينا فايوري حتى الآن، وحان وقت التجاهل.

– أنت لا تفهم يا ساي، كلاكما لا تفهمان معنى أن تحمل بشرية دماءنا ولا يحصل لها شيء، لا يمكننا أن ننسى كيف وُلِدَت.

أطرق ساينوم وتابع نان طرقه نحو النافذة ير اقب الأفق، أما واردو فقد بقي على حاله ليقف بعد مدة ويقول:

– بما أن عملكم قد انتهى، غادروا.

– واردو؟

– كان هدفي في البداية أن لا تصلوا إليها ولكنكم وصلتم، هدفي الآن أن لا يقترب منها أحد، وإلا فإنكم ستواجهونني.

– هل جُنِنت يا واردو... تعادي إخوتك من أجل آدمية؟

– لقد كنا متطورين، و أفضل من الآدميين، لكننا لم نتحمل بعض الإشعاعات وقتلنا بني جنسنا، أتعتقد أن الأمر سهل؟

– كانت الإشعاعات قوية، ووُلِدنا نحن بعد سنوات من تحول الأرض.

– لقد ولدنا بعدهم، وكنا آخر جيل، لكننا برغم ذلك لم نستطع التحكم في أنفسنا.... لقد قتلنا من أحببنا.

نظر نان للألم في وجه شقيقه لأول مرة بعد سنوات، أطرق ثم التفت بعيدًا وهو يطلب من ساينوم المغادرة.

جلس نان في غرفته على حافة الشرفة يفكر بعمق، تذكر كيف بدأ القتل وتبعه إخوته، كان كل شيءٍ في حفل زفاف ساينوم، وقف الخمسة بجانبه، ولكل منهم حبيبته التي يقابلها، عدا واردو الذي أمسك يدها وهو يخبرها أنهما التاليان، كانت تضحك قبل أن تتملك نان تلك الرغبة التي لم يستطع كبحها، التفت بعيدًا محاولا عدم التفكير بالأمر، نظر ساينوم له، وقد فهم أنه ليس الوحيد الذي يشعر بالرغبة في شرب دم أحدهم، حاول كلاهما السيطرة بنفسه لكن الأمر خرج عن قدرته، أمسكت (كيا) يد زوجها (ساي) لترى ما به قبل أن ينقض عليها ويرديها صريعة، انتشرت رائحة الدماء في المكان لينطلق الإخوة وتصبح حفلة الزفاف مجزرةً.

أفاق الجميع على رائحة الدم المتعفن، كان الأمر مؤلما ولا يغتفر، بينما أمسك واردو وجه حبيبته يبكي، كانت (تانورا) جميلة وبريئة قبل أن تملأ جسدها جروح وطعنات من الذي تحبه ليشعر بالألم والوحدة، أبعد خصلات شعرها عن وجهها وهو يمسح تلك الدماء القذرة، كانت طريقة القتل مختلفةً هذه المرة، فرغباتهم

المكبوتة طوال سنوات جعلتهم ينفجرون ليمزقوا أجساد الجميع، جلسوا على الأرض بعد أن نظفوا الجثث وغسلوها ثم دفنوها، ثم سار كل منهم في الأرض وحيدًا يبحث عن الخلاص، لكن واردو كان أكثرهم ألما، بحث عن منطقة متجمدة ورمى بنفسه هناك، كان يعلم أن ما يبقيهم أحياء هو تحرك الدم في أجسادهم فإن توقف عن الضخ فسيموتون، تبعه الجميع بعد مدة ليست بالقليلة ليفتحوا أعينهم في غرفة حديدية بقاع أحد السفن الضخمة، كانت هذه السفينة هي التايتانيك، أدى اصطدام المقدمة بالجبل الجليدي إلى تحطمه بينما تولت المراوح إرسال حرارة كافية لتدفئة أجسادهم، سحبتهم المياه نحو داخل السفينة ليفتحوا أعينهم وهم لا يستوعبون ما يحصل، كان هناك الكثير من العمال ما جعلهم في حالة من الذهول.

– هل أتوهم؟

– لا يا ساي، هناك كائنات تشبهنا.

– لكن.. ألم نمت؟

– لا أعتقد ذلك.. مؤشراتنا الحيوية نشطة، لكن.. كم أمضينا من الوقت بغيبوبتنا؟

– آلاف السنوات؟

– لا.. ثيابهم ومعداتهم بدائية لكن ليس كثيرا، أعتقد أننا أمضينا ملايين السنين.

– فايوري.. أنت من يجيد فعل ذلك.

– لكنني أحتاج للكثير من العينات لكي أكتشف.

كان واردو لا يزال مجمَّدًا، نظر نان إليهم وتساءل عن مكانه ليقول بقلق:

– ماينوك أغرق السفينة، فايوري اجمع ما تريده، أما تايتن وساينوم فتعالا معي نبحث عن واردو.

بحث الإخوة كثيرا عن واردو وغاصوا للأعماق في محاولة لإيجاده لكن الأمر كان بدون جدوى، نظر ساينوم إليه وهو يبحث بياس ليقول بحزن:

– لعل أمنيته تحققت واجتمع بتانورا.

– لقد تجمدنا بنفس الطريقة، وفي نفس المنطقة، يجب أن يكون هنا.

– نحن لا نعلم كم أمضينا هنا، قد يكون الجليد قد تحرك من مكانه، و أنه في منطقة أخرى.

– يجب أن نجده يا ساي.

– سنجده نان.. لا تقلق.

بعد فترة اجتمع الإخوة على قطعة من الخشب على بعد من السفينة، كانوا ير اقبون انشطارها عندما صرخ فايوري بفرح:

– لن تصدقوا ما وجدته!

– ماذا هناك؟

– أتعلمون كم المدة التي أمضيانا في هذا الجبل؟

– كم؟

– ثلاثة عشر ألف سنة طوطمية.

– ماذا؟

– نعم! مذهل! أليس كذلك؟

– علينا إيجاد واردو بسرعة.

– إن احتمال عيشه ضئيلة نان..

– لا يهمني، فلنجتمع كلنا، أو نمت جميعا.

توقف قارب أمامهم يسألهم عما يحدث، لكن أحدا منهم لم يجب، طلب منهم في النهاية أن ير افقوه ولأن فضولهم لاكتشاف كائنات تشبههم كان أقوى، فقد ر افقوه بلطف تام.

فتح نان عينيه على قمر تلك الليلة ليضع يده مخفيًا إياه حين اصطدم بصورة أهله وحبيبته، ابتسم ثم أغلق يده واختفى.

في غرفة واردو جلس بهدوء يحاول التفكير حين دخلت چيزا بدون استئذان وهي غاضبة، اندهش ثم حرك رأسه ساخرا:

– طبعا تفضلي.

– لماذا!

– أنت دخلت بالفعل؟ لماذا سأمنعك!

– لا أقصد هذا.. أقصد، لماذا؟

– أيتها البشرية.. توقفي عن الألغاز، تحدثي بسرعة.

– لماذا فعلت كل شيء؟ لماذا أبقيتني ودافعت عني.. لماذا لم تدعهم يقتلونني! بشكلي الجديد لم يكونوا ليكتشفوا أنه أنا.

ابتسم واردو ونظر لها، ، ثم وقف أمامها بهدوء.

– ألم تكوني تتذمرين من بقائك هنا؟ يمكنك المغادرة.

– ماذا؟

– نعم.. يمكنك ترك المكان والعيش أينما أردت.

– ما الذي تعنيه بذلك! أتطردني؟

كانت ضربات قلبها تتسارع وصوتها يرتجف كأنها تتوسله أن يكون ممازحا كعادته وأن تبقى، لكنه كان ينصت لاضطرابها وهو ينظر إليها بهدوء تام، ابتسم باستفزاز وهي تكاد تنهار لترفع صوتها غاضبة وعيناها تدمعان.

– توقف عن الابتسام، لا حق لديك لطردي...أنا لست لعبة في يديك تسجنني متى أردت وتتركني متى شئت.

– إن كنت قد انتهيت... يمكنك الرحيل.

فقدت چيزا أعصابها وضربته بقوة ليبتعد ويتحطم الكرسي، لم تتوقف عند ذلك الحد وبدأت تتبعه لتفرغ جام غضبها بينما اكتفى هو بالابتعاد، بعد مدة وقعت أرضا تتعرق وهي تبكي بغضب ليقول مستفزا:

– أهذا كل ما لديك؟

– أيها الـ...

– شششش.. عيب يا فتاة.

قالها مستفزا لتغضب أكثر وتحاول القيام لكن قوتها خذلتها وجلست أرضا مجددا ليقول بهدوء يهمس:

– لا تخسري أعصابك وإلا فإن قوتك ستنتهي بسرعة وتصبح سكينا يمزقك.

أطرقت تحاول التفكير وهي تتنفس بصعوبة، تنفست بعمق ليبتسم، وقبل أن يقول شيئا داهمته بضربة أوقعته أرضا لتقول وهي تقف مترنحة:

– أنا لست لعبة... لقد أحببتك أيها الأحمق ولن أسمح أن تتخلى عني.

ابتسم واردو ووقف عندما فاجأته بكلماتها لينظر إليها بسرعة وشعرها المنسدل على وجهها يعكس بؤس حالتها، نظرت إليه تحاول عدم الانهياروهي تقول بعينين مليئتين بالدموع والغضب:

– أنتم أنانيون جميعكم... تجعلوننا نتعلق بكم ثم تتركوننا.

قالتها وهي تهوي نحو الأرض ليسرع ويمسكها، ابتسم بمرح وقد فقدت طاقتها كلها لتفرغ غضبها، غريبة هي الأنثى حين تحب بشدة، لن يهمها شيء سوى أن تحظى بذلك الذي تحبه، لن تقبل بالمرتبة الثانية أو أن يتم التخلي عنها، ستحرق كل شيء فقط لكي لا تشعر بأنها أقل من غيرها.

ابتسم وهو يضعها في منزلها القديم وفي سريرها، نظر لها مليا ليقول بهدوء يمسح وجهها:

– لا نحصل على كل ما نريده في الحياة أيتها الصغيرة، آمل أن تحبي من جديد.. اهتمي بنفسك.

التفت مبتعدا لتهذي چيزا باسم ستيفن، أمسك قبضته بغضب، بينما علت وجهه مسحة حزينة، نظر بعيدا ثم غادر.

العودة للحياة

استيقظت چيزا صباحا على ضوء الشمس، مضى وقت طويل منذ رأت الضوء بهذا الوضوح، نظرت حولها لتجد يدها مثبتة بمصل في غرفتها، استغربت وحاولت التحرك لتجد نفسها محاصرةً بألم شديد، فُتِح الباب ودخل ستيفن، نظرت إليه بدهشة غير قادرة على قول شيء، بينما أسرع الآخر نحوها بسرعة وهو يبتسم بفرح ودهشة:

– أنت.. أنت.. لقد استيقظت أخيرا!

– استيقظت؟ أخيرا! لماذا؟ منذ متى أنا هنا!

– لقد كنت في غيبوبة، كانت سنةً كئيبة بدونك.

وأسرع بعناقها لتنظر إليه ببرود وهي تكاد لا تصدق، أيُعقَل أن كل ما مرت به كان مجرد حلم؟ أيُعقَل أن حبها لواردو مجرد هروب ابتدعه عقلها ليجعلها تبتسم بالحياة؟

لكن الألم كان حقيقيًّا، لقد تحطم قلبها بقوة، أولا بحبها لستيفن ثم اختفائه، والآن باختفاء واردو قد تلاشى كل نبض داخلها.

نظرت له بهدوء تر اقب تفاصيله، لقد تغير كثيرا، هناك لحية قد نمت، وتجاعيد ظهرت، رغم صغر سنه، لكن الحياة خطت معالمها على وجهه، ابتسمت وقد غلبتها دموعها وهي تدرك الحقيقة وهو يسردها عليها.

لقد وقعت أرضا في المشرحة بعد أن سمعت أصوات الصراخ، أخبرها أنها أُصِيبت بانهيار أولي عند رؤيتها لذلك الوجه المحترق، لقد ساعد كل ذلك على تذكرها لحادثة طفولتها عندما ماتت عائلتها بسبب اشتعال القبو الذي كان يحوي كميةً كبيرة من الكحول التي كان يستخدمها والدها لصنع العطور.

غلبتها الدموع لتمسك الغطاء بقوةٍ وهي تتشبث به خوفًا من انهيارها مجددا، تذكرت ابنة الخامسة التي كانت تمضي الوقت برسم الأبطال الخارقين وحلمها بأن تزيل الألم من العالم، تذكرت نزاعها مع إخوتها حول من سيستلم القوة الأكبر، لكنها في تلك الليلة المشؤومة كانت وحيدةً، تسللت خارج المنزل لتخبئة دفترها في الحديقة، وعندما عادت كانت النار تأكل كل شيءٍ دون انتظار الإذن...

كانت جامحة كسجين تحرر بعد وقتٍ طويل يعانق كل من يقابله غير آبه بر ائحته أو غربته عنهم، وقفت تشاهد اللون الأحمر كغسق قبل الأوان، كانت تسمع صرخاتهم وعدم قدرتهم على الخروج لتقع أرضًا وتفتح عينيها لتجد نفسها هائمةً بدون ذاكرة في شوارع المدينة، توقفت سيارة نزلت منها عجوز، نظرت لها بحنو وناداتها بـ(چيزا) لتنقاد معها بدون حول منها ولا قوة.

فتحت چيزا عينيها لتجد ستيفن ينظر إليها بحزن وهي لا تستطيع إيقاف دموعها.

– چيزا؟

– هلا تركتني لوحدي.

– لكن!

– أرجوك ستيف.

خرج ستيفن لتنطلق صرخاتها وهي تحاول كتم شهقات أنفاسها، كان ركام السنوات حملًا كبيرًا على طفلة صغيرة، حاولت الهدوء، لكن ذلك استفز مشاعرها لتخرج بشكل أقوى، وقف ستيفن خلف الباب يسمعها وهو يتمزق ألما، وضع قبضته عليه وهو يشعر بالعجز، مضى الوقت بطيئًا لتغوص أكثر في العديد من المشاعر السلبية، عادت لجمودها وحزنها، اكتئابها ووحدتها، عادت لتصبح جثةً من جديد، بينما راقبها ستيفن وهو يحاول إعادتها للحياة دون جدوى، قرر في النهاية إحضار جرو كلبة هاسكي، كان لطيفًا جدًّا بعينيه الزرقاوين وفروه الأبيض، لم تشعر بالخوف وهو يقترب منها بوجهه الذي يشبه الذئاب، ابتسمت، تربت على رأسه لتقول:

– يا لك من جرو لطيف.. من المؤسف أن تكون وحيدًا.

– هل يعني ذلك أنه أعجبك؟

– ما اسمه؟

– لا أعلم.. لم نعطه اسمًا بعد.

– مرحبًا نبتون.

بدأت حياتها من الصفر وهي تجاهد نفسها ألا تقع مجدَّدًا، قدمت للعمل كنادلة بعد أن تخلت عن التمريض لأنه كان سيزيد من سوء حالها.

شيئا فشيئا عادت للابتسام والمرح خاصة أن نبتون كان يساعدها بنشاطه المستمر وفطنته، بدأت العمل كنادلة، وفي أحد الأيام خرجت من المطعم لترفع قبعتها والثلج يهطل ليصطدم بها أحدهم ويسرق حقيبتها ثم يفر هاربًا، لم تشعر بالرغبة باللحاق به لكنها وجدت نبتون يركض خلفه لتتبعه، توقف الثلاثة في المنتزه لتمر عليها صورة الدماء والإخوة...

تراجعت للخلف بينما أمسك الكلب الحقيبة وهو يكشر في وجهه ليشعر الثاني بالخوف ويركله برجله في صدره، سقط نبتون أرضًا يئن ويعوي، لتنظر إليه بغضب وتضربه فيقع هو الآخر، وقف مجدَّدًا مخرِجًا سكينا صغيرة وهو يهددها، لم يكن في قلبها ذرة خوف منه، اقتربت بينما حرك هو سلاحه ليخيفها وفي لحظة اقترابهما وطعنه لها ظهر أحدهم ليمسك يده ويلمس وجهها بعض قطرات من الدم، كان ستيفن قد أمسك السكين بيده، لكن ذلك لم يمنعه من الإصابة في ذراعه، سقط السارق أرضا لينظر إليه ثم يفر، أما چيزا فقد مسحت الدم عن وجهها والتفتت لنبتون تمسح رأسه وترى حاله، وقف ستيفن بغضب ليقول:

– من تحسبين نفسك لتقفي في وجه سكين، أنت بشرية وكنت ستقتلين نفسك.

تحرك بؤبؤ عينيها بسرعة وابتسمت ثم مسحت رأس نبتون لتقول بهدوء:

– أتعتقد لوهلة واحدة أنني أهتم بحياتي؟ لا يهمني إن مت، فأنا لست حية أصلا.

– توقفي عن قول ذلك.

– لقد كان كل شيء حقيقيًّا يا ستيف.. كان حبي له حقيقيًّا، وألمي الآن حقيقي أيضًا، عاجزة عن التنفس بدونه رغم أنه مجرد وهمٍ، لكنني مغرمة بالوهم، أريده ولا يهمني حتى أن اضطررت للنوم لألف سنة لأجتمع به، رغم أنه وحش، رغم أنه قتل بشرًا كثيرين، لكنني أحبه، وسأبقى حبيسة ذكراه.

– چيزا؟!

– أعلم ما ستقوله عني، إنني جننت؟ وإن يكن! لا أحد عاقل في هذا العالم السادي الذي نعيشه.

لم يستطع ستيفن قول شيءٍ واكتفى بحمل نبتون للسيارة، جلس كلاهما بجانب بعض بينما هو يقود بصمت وهي تمسك نبتون على حجرها تربت على ظهره بصمت، وصلا للمنزل فنزلت وغادر ستيفن لعمله، لم يلتفت أي منهما للوراء، سارت عبر باب البناية ثم وقفت

أمام باب المصعد لتضغط زرين فينعكس وجهها على بابه، تأملت ذلك المشهد قليلا: شعر أحمر يصل لكتفيها، جفنان بجيوب سوداء، لون شاحب وعينين باردة، رن الجرس و انفتح الباب لتدخل قلبه دون التعليق، تذكرت كل شيءٍ وهي هناك، حبها لواردو ومعاركهما، سخريته منها وضحكه عليها حين تخطئ، ابتسمت والدموع تغلبها لتنزل أرضا تعانق نبتون وهي تبكي بألم تحادثه.

– كيف يمكن لشيء أن يكون حقيقيًّا بهذا الشكل! لقد كنت على بعد خطوة واحدة من أن أكون سعيدةً و أنسى كل شيء، لماذا أفقت؟

بعد لحظات راودتها تلك الفكرة فلمعت عيناها، وصلت منزلها لتضع نبتون في سريره وتذهب إلى غرفتها، أغلقت الباب ودخلت حمامه تبحث عن شيء، قلبت المنزل حتى وجدتها، ابتسمت وهي تقلب العلبة بين يديها.

مضى الوقت وعاد ستيفن ليبحث عنها، كان يحمل قطع الشوكولا المفضلة لديها لينسيها قليلا مما مرت به فيجد نبتون يخدش باب غرفتها وهي لا تفتح، اندهش وأسرع بالطرق مرارًا لكنها لم تكن تجيب، ضرب الباب بغضب بدون جدوى، أما هي فقد استسلمت لانخفاض دقات قلبها وتشوش رؤيتها، كان كل شيءٍ يفقد لونه تدريجيًّا، أما الأصوات فقد كانت تبتعد لتصبح مجردَ طنين بعيد، مع إغماضها لعينيها ظهر واردو وهو يمسكها بغضب ويطلب منها التماسك، ابتسمت باستسلام تحاول وضع يدها عليه لتسقط وتغيب عن الوعي.

– أيتها البشرية البلهاء، ألم أخبرك أن حياتك ملك لي! ولن تغادريها حتى أسمح لك؟

– لم يعد الأمر مهما.. فأنا.. ميتة بدونك.

– يا لك من..

أغمضت عينيها واستسلمت لنومها الأبدي، فتحت عينيها مجدَّدًا في غرفة مختلفة، كان الإخوة سايتن يقفون وهم ير اقبونها بينما لم تفهم هي ما يحدث، بحثت عن واردو بعينيها لكنه لم يكن هناك، لاحظ فايوري استيقاظها فصاح بسرعة ليجتمعوا.

– لقد استيقظت.

قفز تايتن على السرير ليجلس مقابلها وهو يقول:

– لقد تأخرت كثيرا أيتها الكايو.

– ماذا حدث؟ أين واردو؟

نظر لها نان بغضب بينما تولى ساينوم الإجابة ليقول بهدوء:

– إن كنت تريدين الانتحار كان بإمكانك توفير العناء وإخبارنا.

– لكن.. كيف وصلت إلى هنا؟

نظر الجميع إلى بعضه بينما خرج نان تاركا إياهم ليشرحوا لها ما حدث، اختفى البريق مجدَّدًا من عينيها لتخسر كل شيءٍ بعد أن

اعتقدت أنها قد اقتربت، وقفت رغم التعب والألم لتمسك تايتن من ياقته وهي تقول بغضب:

– أنتم تكذبون، واردو بخير، جميعكم كاذبون.

أشاح تايتن بوجهه، بينما أطرق كل منهم، نظرت إليهم وهي تتراجع للخلف لتصطدم بالسرير وتقع أرضًا فتنفجر دموعها وتصرخ بأنين وألم، وقف الإخوة ضائعين بين ألمهم وألمها، أي رابط ذلك الذي جمعهما ليجعلها تنهار بهذا الشكل، بينما وقف نان يسمعها وهو يمسك قبضته بغضب وألم، لقد فقد شقيقه الذي أمضى عشر سنوات يبحث عنه بسببها، والمشكلة أنه لا يستطيع قتلها، لقد كبل واردو أيديهم ليبقوا حبيسي ذلك الذنب الذي اقترفوه بينما غادر هو ليجتمع بمن أحبهم يومًا غير آبه بالألم الذي زرعه في قلوبهم.

مضى الوقت وچيزا لا تكف عن البكاء وترفض الطعام، بدا لها كأن الفقد والحرمان مكتوبان في دفتر حياتها حتى لا يفارقاها أبدًا، سار نان في الليل كعادته فهم لا ينامون مثلنا، ليجدها تجلس بجانب البحيرة تراقب سطحها بدون أيّ لون في عينيها، تذكر وجوههم بعد أن فقدوا من يحبون، كان شكلهم يشبهها الآن، جعله ذلك يدرك أنها لا تدعي الحزن وأنها فعلًا محطَّمة، بدا انعكاس القمر جميلا ليبعث في قلوب الجميع خيطا شفافًا من الألم، جلس بجانبها ليقول وهو يعطيها منديلا:

– البكاء لن يعيد أحدا.

– لكنه وسيلتنا لنتألم.

– لقد كان واردو يريد أن يموت منذ البداية، منذ اقترفنا تلك المجزرة بحق من نحب.

– لا أصدق أنني أحببت أنانيا.

قالتها بغضب وألم ليفقد نان أعصابه وينظر إليها وهو يرفع صوته:

– أناني؟ لقد أعطاك قلبه وفضل أن يموت لأنك كنت مستهترة جدًّا لتحافظي على نفسك، لقد ضحى بنفسه لتبقي حية.

ابتسمت چيزا واتسعت ابتسامتها لتصبح ضحكة، قهقهت عاليًا وهي تبكي، ثم وقفت وأكملت ضحكها لتقف بعيدًا عنه بقليل وتلتفت له.

– ضحى بنفسه؟ لأبقى حية؟ أتسمي هذه حياة؟ لقد كان أنانيا، أراد منذ البداية أن يموت ليجتمع بهم واختارني لتنفيذ خطته، أرجحني بين الحياة والموت مثل دمية خشبية يتحكم بخيوطها، أتعتقد أنه أنقذني منكم لأنه أراد تعذيب الجميع؟! لا بل على العكس، أنقذني حتى يمنحني قلبه ويرحل هو بهدوء، وبدون تأنيب ضمير.

– توقفي.. لا تجرئي.

سارت للوراء نحو البحيرة وهي تبتسم وتبكي، بينما وقف نان وقد فهم ما تفكر به، عندما شربت چيزا المنوم ظهر واردو بصورة المنقذ، كان قلبها يتوقف تدريجيًّا عن النبض فلم يكن أمامه حلٌّ سوى منحها قلبه وطاقته، أخرجت مخالبها وغرزتها في صدرها لتستخرج قلبها وسط دهشة نان، نظرت له بابتسامة ساخرة ثم رمته في البحيرة لتنهار خلفه في مياهها، استسلمت لتلك البرودة التي تسللت سريعا لجسدها، وأغمضت عينيها ببطء مبتسمة.

بداية أخرى

فتحت عينيها مجدَّدًا على أصوات متداخلة، ضوء يصيبها بقوة، أغمضت عينيها وفتحتهما ببطءٍ تحاول تجنبه، كان ستيفن يتحدث إلى المحقِّق ماركو الذي كان يقف بجانب النافذة، جلست تستمع إليهما ليلتفت ستيفن ويجدها، أسرع إليها سعيدًا يسألها بقلق عن حالها لتجيبه بصوت مرهق:

– ما زلت حية!

– يجب أن ترتاحي قليلا.

– هل سيفيدني ذلك؟!

– چيزا لا تقلقي، كل شيء سينتهي، وستعودين لتكوني بخير مجدَّدًا.

ابتسمت چيزا نصف ابتسامة، بينما كان وجهها يظهر سخريتها من كلامه ذاك، نظرت نحو النافذة المضبَّبة، كانت المدينة مغطاة بضباب يغطي كل شيء، بدا لها أن الكابوس لن ينتهي لتهرب من المشفى وتعود للمنزل.

دخلت بيتها لأول مرة منذ وقت طويل، فإقامتها في منزل ستيفن جعلتها تنسى كل شيءٍ هناك، أغلقت الباب ووقفت في ردهته تسير بهدوء، امتلكها شعور بالألم، ورغبة بالقيء فأسرعت نحو الحمام، أفرغت ما في داخلها على أمل أن ترمي بذكرياتها وألمها داخل فتحة الحمام ولا تعيدها مجدَّدًا.

كم هو غريب أن نعيش حلمًا جميلا بكل تفاصيله، نعيشه ونحبه بعمق ليأتي أحد فيوقظنا منه ويخبرنا أن من عانقناه بالأمس ليس حقيقةً، مثل مصاب بالفصام يتمسك بوهمه ويصر على و اقعيته، رغم أن هناك شخصًا داخله يخبره أنه يتوهم، لكن السعادة التي تمنحه إياه الذكريات ترفض أن يتخلى عنها.

الضياع، الوحدة، الصمم، البكم والألم، كلها مشاعر دقت عمق چيزا لمنعها من الراحة، حتى الموت كانت محرومة منه، صرخت بأعلى صوتها ليختفي في النهاية وتعجز عن قول شيءٍ، أمسكت مكان حنجرتها لمحاولة قذف أي شيءٍ، لكن صدمتها وألمها أبيا إلا أن تبقى هكذا، استلمت أخيرا وتراجعت لتستند على الحائط وتتخذ زاويةً منه لتعانق ذاتها عليه.

مرت الأيام وحاولت أن تستعيد صوتها، لكن ذلك لم يجد نفعًا، قررت في النهاية أن تبيع بيتها وتشتري منزلًا بحقل بمنأى عن المدينة، كان كوخًا بطابقين وأرضية مصنوعة من خشب البلوط...

ساعدها الريف على الهدوء واستعادة توازنها دون صوتها، بينما مر الوقت سريعًا لتمر السنة، كان ستيفن يزورها مرةً في الشهر لأول

ثلاثة أشهر ثم توقف عن الزيارة تدريجيًّا، لم يبدُ أنها تهتم لغيابه، فحبها لوهمها واردو جعلها تكره البشر.

استيقظت في الثالثة صباحا على صوت باب النافذة يتحرك ونباح نبتون، ارتدت معطفًا وتحركت للأسفل فالجو كان باردًا، رأت نبتون ينبح باتجاهها لتحاول تهدئته وغلقها لكنه كان يزمجر بغضب لتستغرب وتنظر إلى ما يراه، اندهشت وتراجعت للوراء لكنها حاولت التماسك والوقوف مجدَّدًا لتنظر عبر النافذة فترى (نان) و اقفا كشبح ينظر نحو المنزل ثم نحوها وتلتقي عيناهما.

التفتت بعيدًا محاولة التجاهل لكنها تذكرت كلام طبيبها النفسي عن الوهم الذي تراه وحدها، كان نباح نبتون مزعجًا وهو لا يتوقف، أعادت النظر نحوه بدهشة لتقول في نفسها:

– إن كان نبتون يراه.. فأنا لست واهمة..

كان كلُّ شيءٍ يسير بسرعة مثل فيلم قديم يقوم أحدهم بتسريعه من أجل الوصول إلى حدثٍ معين، وقفت مجدَّدًا لترى اختفاءه وزمجرة نبتون التي لا تتوقف ليتسلل الخوف إلى نفسها وتشعر بالبرد، تراجعت ببطء للوراء لتصطدم بالجدار فتلتفت بخوف وترفع رأسها لتجد تايتن يبتسم، قفز نبتون ليضربه ويقع أرضا يئن، أسرعت إليه ليمسك فايوري يدها بقوة يقول:

– وجدتك.

لم تستطع أن تنبس بكلمة، فرغم خسارتها لصوتها لكن الوضع كان مرعبًا، أوهامها الخمسة تقف أمامها، نظراتهم مرعبة وخوفها حقيقي، ابتسم ساينوم وأخرج مخالبه متجِهًا نحوها بسرعة لتخفي وجهها بيديها وتصرخ فتفتح عينيها على أرضية غرفتها بعد سقوطها من على سريرها، كانت تتعرق بشدة، تحركت النافذة فارتعبت لكنها رأت بابها يصر فوقفت لإغلاقه وهي ترى نبتون نائمًا، نزلت إليه وربتت على رأسه ليتحرك ويفتح ذراعيه سامحًا لها بالتربيت على بطنه، ضحكت وبدأت تلاعبه ثم مسحت عرقها وأغلقت باب النافذة ونزلت.

شغلت الفرن وبدأت بتحضير الفطور، فتحت الثلاجة وأخذت علبة حليب ثم أغلقته لتفاجَأ بنان يقف أمامها، تراجعت للوراء، ثم عادت لتخبر نفسها أنه وهم، أكملت نحو الطاولة وهي تضع كل شيء غير آبهة بأطيافهم التي كان كل منها يتخذ مكانا، استغرقها الأمر طويلا، لكنها الآن تفهم سرَّ كل شخصية اخترعتها، فـ(نان) هو شخصيتها الهادئة، وفايوري هي المتهورة والمحبة للعلم فهي كانت متفوقة، ماينوك يمثل حبها للطعام، أما ساينوم فيمثل حبها للقيادة، تايتن هو حبها لتكون محبوبة، أما واردو فهو شخصيتها التي تأبى أن تمنح نفسها فرصة وترفض أن تسامح ذاتها على ترك عائلتها.

جلست بعد إطعام نبتون لتناول الفطور فاجتمعوا حول نفس الطاولة دون قول كلمة، كان تايتن وفايوري وماينوك يأكلون بينما صب ساينوم كوب قهوة بهدوء، ثم جاور النافذة ير اقب المطر التي بدأ ينهمر بقوة، أما نان فقد كان يجلس مقابلها ليقول:

– كيف تستطيعين متابعة حياتك بعد قتلك لواردو؟

لم تجبه، وتابعت الأكل تتابع الأخبار على هاتفها حين وردها اتصال من ستيفن لتجيب بعد مدة من نظرها للاتصال، أجابت كعادتها ببرود دون أن تقول شيئا لينزعج ستيفن معتقدًا أنها لا تريد الحديث معه، في تلك اللحظة غضب نان وضرب الطاولة لتتحطم، فخافت قليلا وتراجعت بعد حملها لطبقها وإغلاقها للخط، وضعته على رف المطبخ ونظرت إليهم بتحد تشبك يديها ليقول تايتن وهو يضحك:

– لا أصدق أن لعبتنا أصبحت لا تهتم بنا.

نظر ساينوم لغضب نان ليعلم أن الأمر لن يجري بشكل سلس وسرعان ما سيتحول لدماء، لكنه يعلم أيضا أن لا أحد بإمكانه إيقاف نان إذا غضب، أما مجنونتنا فقد كانت هادئةً بتجاهلها لوجوده، اندفع نحوها لضربها لتنظر إليه بنظرة حادة؛ أوقفته حالا وشلت حركته، تابعت سيرها نحو الخارج، مدت يدها للمطر فتحاشاها ولم يبللها حتى، توقفت سيارة ستيفن فابتسمت بسخرية وشبكت يديها، كان الجميع و اقفا حين أسرع ستيفن بغضب ليقول:

– كيف تفعلين ذلك؟ لقد شعرت بالخوف الشديد عليك.. لا أعلم ما سبب تجاهلك لي لكنني لا أحتمل أن يصيبك شيء.

ابتسمت وأشارت له بالدخول، ثم دخلت خلفه، كتبت ملاحظة على الثلاجة ثم جلست بعد أخذ كوب قهوة، لم يفهم ستيفن سبب تصرفاتها تلك فنظر للثلاجة ليصرخ بغضب:

– ما الذي يعنيه هذا؟

نظرت له بتحد ترتشف قهوتها بهدوء، جلس الإخوة حولها بينما بقي ساينوم ونان و اقفين يحاول كل منهم فهم ما يحدث، ابتسمت بعد مدة ليقول ستيفن:

– هل تتسلين؟

نظرت له بهدوء ووقفت أمام ساينوم لتقول في نفسها:

– أعلم أن بإمكانك قراءة أفكاري.. فهلا أخبرته أن اللعبة وقعت أحجارها؟

نظر ستيفن لها لتبادله النظرة، بينما صمت ساينوم ليسرع نان لضربها فيقف أمامه ساينوم ويوقفه، ضحكت بهدوء وتابعت طريقها باتجاه تايتن لتقول في نفسها:

– هل تظنني أتسلى؟

– اهدأ نان، لقد فقدت صوتها، أنا وساي الوحيدان القادران على سماع أفكارها.

– يا له من أمر مؤسف أليس كذلك؟

– كلامك صحيح فايوري.. يبدو أننا عبثنا معها بقوة.

نظر ستيفن لصمتها ليقول وهي تجلس على الكنبة بجانب فايوري بهدوء، جلس ستيفن على الكرسي المقابل لها لتبتسم ويبدأ الشجار بين الإخوة وهي تسمعهم، جلس نبتون تحت رجليها لتربت على رأسه ثم تقول بصوت مرتفع:

– هلا توقفتم.

– ماذا؟

– ما بكم.. لماذا تنظرون لي هكذا؟ تستغربون عودة صوتي؟ من الطبيعي أن يعود فاليوم تأكدت أنكم لستم خيالا، وستيفن... أكد لي ذلك.

– ماذا؟!

– ما بك تفاجأت هكذا؟ هل اعتقدت أنني بلهاء؟ أعترف أنني في البداية بدأت أفقد عقلي إثر كل شيء، لكنك في لحظة واحدة أثبت لي أنني لست كذلك.. أتعلم كيف؟ حادثة السرقة كشفت كل شيء، تعرض نبتون لضربة خطيرة ورغم ذلك استطاع أن ينجو، لم أفقد صوتي لأنني كنت أصدق خدعتكم، فقدته لأنني وثقت بك يا ستيف، وكنت أنتظر أن تخبرني الحقيقة، لكنك كنت تلعب بأعصابي في كل مرة، كنت تراني أتعذب وتشاهدني بصمت، لم أر نظرة ندم واحدة في عينيك يا واردو فلماذا؟

تفاجا الجميع بينما ابتسم ستيفن، أطرق لبرهة بينما تابعت حديثها تقترب من ساينوم:

– كان كل شيء من تخطيطكما.. و أنا ونان كنا الأبلهين الذين تحملا الذنب، أعترف أنني شعرت بالخوف عندما اختفى ستيف، وظننتني فعلا قتلته، خاصة مع تغير تصرفاته، لكن سماعه لكم في الهاتف قبل قليل جعلني أتأكد أن واردو ما يزال حيًّا، لكنه فقط..

التفتت له مبتسمةً لتقول وقد ملأت عينيها الدموع:

– لا يريدني.

رفع واردو رأسه وقد ظهر وجهه الحقيقي وهو يضحك ويصفق بسخرية قائلا:

– مذهل أليس كذلك؟ لم يكن اختيارنا لك عبثًا، تبدين كفتاة متعبة وضعيفة، لكنك ذكية.. أنا معجب بك.

– توقف واردو.. أخبرتك أنها تخصني.

– أنا لا أريدها تاي، خذها.

بقي نان مشدوها بينما نظرت له چيزا باستسلام لتقول وقد خف ذلك الأمل داخلها، وكان الحقيقة كانت منهكة لها.

– لقد كنا لعبتهم نان.

بادل نان نظره بين ساينوم وواردو بدهشة لبعض الوقت قبل أن يتملكه الغضب الشديد ويمسك قبضته ثم يندفع ليضربه فيقع

أرضا على بعد عشرين مترا للخارج، خرج خلفه وقد فقد أعصابه ومنطقه، وحرر كل طاقة حبسها لسنوات، بينما صرخ واردو بوجهه.

– هل جننت نان؟!

– هل تخيلت حجم الألم الذي شعرت به؟ هل يمكنك أن تتخيل الذنب الذي تملكني؟ أتعلم كم من سنة بقيت أطوف الأرض والمجرة بحثا عنك أيها الغبي.. وحين طلبت العزلة احترمت ذلك..

كان نان لأول مرة منذ سنوات ذلك الأخ فقط، بدون دور قائد المجموعة و أقواها، كانت مشاعره هي ما تحركه فيضرب واردو مرارا ويقف الثاني بصعوبة ليرد عليه فلا يستطيع، بينما اتكأت چيزا على جدار الشرفة تر اقبهما، أما الإخوة فلم يعلم أحد ما عليه فعله.

كان واردو شخصًا مسالمًا جدًّا رغم الدماء المسمومة في جسمه، لم يمنعه ذلك من الوقوع في حب تانورا، تلك الفتاة الطوطمية ذات العيون الحمراء والدم النقي، كانت مرحةً وتحب المزاح كثيرا، بينما كان واردو ذلك الشقيق الأصغر المدلَّل الذي يهرب من دروسه ليجرب بعضا من قواه في الجبال متخفيًا، وحدث في إحدى المرات أن رأته تانورا فأصابها بدون قصد معتقدا أنها حيوان ما، أفاقت بعد مدة لتجده يحاول تضميد جرحها معتذرًا، تلاقت عيناهما واشتعل كل شيءٍ داخلهما ليثير الفوضى ويجعل صوت العالم عبارة عن نبض متسارع، ابتسما بخجل وتواريا بعيدًا عن بعضهما، افترقا وقد تواعدا على لقاء قريب، أوصلها لمنزلها لتخبرهم أن رجلها انزلقت عن الجبل و أنه أنقذها، بينما بقي يزورها إلى أن تماثلت للشفاء، لم يمض الكثير

من الوقت حتى خطبها وتحدد الزفاف مع إخوته، فمن العادات أن يتزوج الإخوة في يوم واحد، سرعان ما انقلب العرس إلى مجزرة أفاقوا منها مغطين بالدماء.

ابتعد كل منهما وهو يلهث متعبًا بعد وابل من الضرب الذي تبادلاه، أما چيزا فقد جلست على درج الشرفة تراقبهما بحزن لتتذكر تلك الليلة الباردة حين اخذها أحدهم من أمام منزلها المحروق وقادها نحو مختبر أسفل الأرض، كان هناك خمسون طفلا غيرها، في رواق أبيض تراصفت الغرف، ولعل عبارة زنزانة كانت لتكون أدق، لم يكن يُسْمَح لأي طفل بالدخول لزنزانة صديقه، وكانوا يأخذوهم مرة في الأسبوع ليتم حقنهم بمادة حمراء، ثم يتم إعادتهم لغرفهم، يتألمون ويصرخون ألمًا وترتفع حرارتهم، لكن أحدًا لا يقترب منهم، كانت چيزا قادرةً على أن يتم حقنها بدون أن تبدي أي رد فعل بعدها، فقد كانت تعود لغرفتها وتبقى مستيقظةً طوال الليل ترسم شيئًا في الهواء على مرأى من كاميرات المراقبة ليستغرب العالم الذي يقوم باختبارها ويضحك.

بعد مدة تم نقل عشرة أطفال إلى طابق آخرَ، لكنهم هذه المرة وُضِعُوا في غرفة واحدة، كانت الغرفة واسعةً جدًّا تحتوي عشرة أسرة، بلون جداري أبيض وأرضية مماثلة، كان بإمكان سبعة أطفال النوم، إلا الأرقام (ثمانية)، (واحد)، (ثلاثة)، فقد كانوا غير قادرين على إغماض أعينهم، والرقم ثلاثة يخص چيزا.

بعد عدة اختبارات وإنهاء الحقن، تم إصدار أمر من العالم القائم على التجربة بنقلهم للمنزل الجبلي.

ابتسمت چيزا تنظر لفايوري الذي كان يشاهد بقلق معركة شقيقيه، كان هو العالم القائم على التجربة، لم تستطع يوما نسيان وجهه عندما حقنها بالمادة الأخيرة وهو يقول:

– هذه المادة ستمسح ذكرياتك وذلك سيسهل علي تجفيف دمك.

لم يستطع الأطفال الصمود، فبعد إخراجهم للثلج والبرد وجرهم حافين في ذلك الطقس باتجاه الجبل، تفاعلت المادة داخلهم والتهموا بعضهم البعض بعد أن قام الحارس بطعن أحد الأطفال الذي كان يساعدها انتشرت رائحة الدماء لتغريهم ليقتلوا بعضهم، بينما هربت چيزا نحو المدينة لتلقطها العجوز وتمنحها اسمًا.

رغم ذلك لم يستطع العالم المجنون ترك تجربته فعاد مجدَّدًا على شكل ماركو، ذلك المحقق الذي طلب صداقتها ليبقيها تحت عينيه، فتحت عينيها بسرعة لترى واردو يكاد يقتل نان، تحركت رغما عنها ووقفت بينهما ليتوقف واردو بعيدًا بإنش واحد عن وجهها، نظرت له بهدوء وقالت:

– أعتقد أن ذلك يكفي.

– كيف؟

– المدة التي بقيت دمائكم في دمي سمحت لي بأن أصبح منكم، و أفترض أنني مع بعض الوقت سأمتلك قوة كل منكم.

– لا تمدحي نفسك.

قالها نان بغضب لينظر فايوري لها ويفحصها بسرعة وهو يقول بإعجاب:

– كلامها صحيح، دماؤنا التي حقنتها بها استولت على جسدها، إنها مثلنا.

وقف نان ليهوي نحو الأرض وتسرع إليه فتمسكه، نظر واردو للأمر بغضب ودفعها ممسكًا شقيقه ليقول بغضب:

– سأهتم به أنا.. ابتعدي..

استغربت قليلًا ثم ابتسمت، تأخر الأمر كثيرًا لأخذ دمائها، فقد أصبحت الآن مثل الإخوة سايتن، ولم يعد بإمكانهم الاستفادة منها، نجح واردو بتعطيلهم، وأصبحت هي أكثر قوة للدفاع عن نفسها، وضعت الشاي لهم بينما أحضرت عدتها لعلاج جراح نان، فغضبها من الثاني منعها من الاقتراب منه، جلس كلاهما بغرفة لتصفية حساباتهما.

نظر نان لواردو وقد ملأت الجراح جسده ليقول وهو ينظر بعيدًا بغضب واهتمام:

– أنا آسف لأنني قسوت عليك.

– لا عليك.. أنا آسف لكل ما فعلته.

– لقد نجحت خطتك، ولم تعد الكايو مفيدة.

– أنا آسف بشأن ذلك أيضًا.

– لا عليك..

نظر كل منهما بعيدا ليطرق نان قليلا ثم يقول بهدوء:

– ألم تحبها؟

– ماذا؟

– لقد أمضيت معها سنوات.. ألم تقع بحبها؟!

– من تقصد؟

– الكايو!

صمت واردو وأطرق ليسود الهدوء بينهما، ثم فتح فاهه ليجيب وقبل قوله أي شيءٍ دخلت چيزا تحمل علبة إسعافات أولية وصحنا به مياه ومنشفة، نظر لها لتتجه نحو نان مباشرةً وتطلب منه خلع قميصه، تفاجأ كلاهما ليقول واردو بغضب:

– كيف تجرئين!

– لم أحادثك، ولا أنوي فعل ذلك.

ابتسم نان بهدوء وامتثل لطلبها لتبدأ بمسح جراحه، وحالما بدأت بذلك لاحظت أن كل جرح تمسحه يندمل بسرعة، اندهشت ليقول بهدوء:

– الماء هو كل ما أحتاجه.

– أتعني أنه مثل المرهم الطبي؟

– تماما.. أجسادنا تتعالج بالمياه فقط.

– هذا رائع.

حالما انتهت حتى توقع واردو أنها ستتجه له فرفع رأسه والتفت بعيدًا، وهو يستعد لتجاهلها، وقفت وحملت الصحن فجهز نفسه لكنها فتحت النافذة ورمت المياه ثم خرجت بعد صفعها للباب بقوة لينكمش على نفسه ويقول نان ضاحكا:

– كان الله في عونك أخي.

– يا لها من كائن مخيف.

خرج نان وبقي واردو في الغرفة مستلقيًا، كانت جراحه تؤلمه فلم يجد طريقةً جيدة للاستلقاء بهدوء، دخلت وهي تحمل صحنا آخر معتقدةً أنه نام، وحالما رآها أغلق عينيه، أخرجت مقصًّا وقصت قميصه ثم بدأت بالمسح، وحالما انتهت حملت صحنها ووقفت لتغادر، التفتت ليأتيها صوته قائلا:

– مهلا!

– ماذا تريد؟

– هنا جراح بظهري تمنعني من النوم.

وضعت الصحن بقوة وغضب على الطاولة قائلة:

– يمكنك فعلها لوحدك.

وقفت تشاهده وهو يحاول الوصول لها دون جدوى، زمت شفتيها بغضب ثم همت لتغادر ليقول مجدَّدًا:

– لا أستطيع أن أصل لها.. أرجوك.

أمسكت المنشفة مرغمة بينما جلس هو موليًا إياها ظهره، كان هناك وشم ناتورا ووردو على ظهره، ارتجفت يدها ووقعت المنشفة ليقول بحزن:

– أتعلمين أننا نحب مرةً واحدة فقط في حياتنا، نحنا لسنا مثلكم أيها البشر، رغم أن عمرنا أطول منكم، كانت ناتورا حب حياتي، ولم أستغرق وقتًا طويلا للوقوع في حبها، خطبتها وكنت في قمة سعادتي، اضطررت للانتظار سنتين طوطميتين ليقع نان وفايوري بالحب ونتزوج جميعًا...

كانت يدها ترتجف وهي تحاول الهدوء، بينما أكمل هو سرد القصة رغم سماعه لنبضها المتسارع وشعوره بغيرتها.

– وفي يوم العرس، خسرنان وساينوم رباطة جأشهما، كانا أكثرنا كبتا لرغباتهم، لكنهما في لحظة واحدة خسرا كل شيءٍ، أتعلمين ما هو أسوأ جزءٍ في القصة؟ أنني جاريتهم ومزقت جسد ناتورا...

قالها لتنهمر الدموع من عينيها وتحاول تهدئة نفسها بوضعها المنشفة على كتفه، أمسك يدها لتشعر بارتعاشها، استغربت ليقول وهو لا يزال يضع يده عليها...

– أتعلمين ما معنى أن يقتل أحدنا شخصا أحبه؟ أنا لم أبتعد عن إخوتي لأنني أحاول لوم نفسي، لقد شعرت بالخوف من أذيتهم، أتذكرين لقاءنا؟

التفت لها مبتسمًا رغم الحزن الذي لمع جليًّا في عينيه، استغربت ثم حاولت التذكر لتصرخ...

– مستحيل!

– أنا لم ألتقِ بك لأول مرة منذ سنتين، أول لقاء بيننا كان عندما كنتِ طفلة.

– أنت كنت العجوز الطيبة؟ لا أصدق! لماذا فعلت ذلك؟

– صدقي أولا، لكنني لا أعلم... كنت تتجولين وحيدةً، ومجروحة، ذكرتني بنفسي عندما فقدت كل شيء، لم أستطع أن أتركك، ثم قررت أن أكون ستيفن، لأنني أدمنتك، ثم..

– أحببتني؟!

قالتها باستسلام ليطرق ويصمت، ابتسمت نصف ابتسامة حزينة، وأخذت الصحن لترحل، لكنها حالما وصلت للباب جاءها صوته ضعيفًا...

– نعم.. أحببتك، وكان ذلك غريبًا، لم يكن يُفْتَرَض بأحد منا أن يحب مجدَّدًا... لكنك جعلتني أقع...

– لهذا السبب جعلتني أصدق بأنني مجنونة؟

– لم يكن أمامي حل آخر، حبي لك معناه أنني سامحت نفسي.

ابتسمت چيزا له بهدوء بعد أن صمت وأطرق، ليسود الصمت الغرفة اقتربت لتقابله، نظرت إليه ثم جلست على السرير لتقول:

– عندما تُوفي أهلي لمت نفسي مرارًا، وسرت في الأرض و أنا ألوم نفسي، حتى عندما حقني فايوري بمصلٍ للنسيان لم أنس، كان كل شيءٍ يعود على شكل كو ابيس، أتعلم لماذا صمدت دونا عن بقية الأطفال ولماذا لم أنجرف وراء رغبة الدماء؟

– جميعنا تساءلنا عن السبب... لقد كان الأمر غريبا.

– لأنني كنت مثلكم، كل منكم عندما منحني دمه أعطاني جزءًا من ذكرياته، رغم أنني ليلتها كنت أشعر بالإغراء، لكنني هربت، لقد كان مشهدًا مكرَّرًا بالنسبة لي، فلم أستطع أن أعيشه مجدَّدًا.

– هل تعنين؟

– نعم، لمجرد أنك عشت ماضيًا صعبًا، لا يعني أنك ستكرر نفس الخطأ، طبيعتنا العاقلة تخزن التجارب لنستفيد منها، ولعلكم أنتم أذكى منا بأشواط، وتلك نقطة تصب في صالحك.. لا تعش في الماضي واردو، فهو سيخقنك في النهاية.

ابتسمت له أخيرًا واضعةً يدها على كتفه ليرى طيف تانورا بها، لكن الطيف سرعان ما اختفى وبقي وجه چيزا المرح، أفاق من حزنه ليسرع بعناقها ويسقط الصحن فيتفتت إلى أجزاء وتشده هي لبعض الوقت قبل أن تبتسم وتعانقه بقوة.

(تمت)

الفهرس

مقدمة 5
چيزا 9
صديق جديد 23
بداية الظلام 33
واردو 41
اللقاء المخيف 45
جزء من الحقيقة 59
العودة للحياة 65
لحظات من الزمن 79
العودة للحياة 99
بداية أخرى 109
الفهرس 127